ترويض الغضب

يوميات على هامش الأحداث

بقلم

محمود زاهر

2017

مؤسسة يسطرون للطباعة والنشر والتوزيع

رئيس مجلس الإدارة

عماد سالم

المدير العام

أحمد فؤاد الهادى

مدير الإنتاج

أحمد عبد الحليم

الطبعة الأولى

الكتاب : ترويض الغضب

المؤلف : محمود زاهر

تصميم وإخراج : أحمد عبد الحليم

المقاس ١٤ × ٢٠

رقم الإيداع : ٨٥٠٠ / ٢٠١٧

الترقيم الدولى : 9 - 392 - 776 - 977 - 978

العنوان : المكتبة والمطبعة : ٣ ش صفوت - محطة المطبعة شارع الملك فيصل - الجيزة

التليفون : ٠١٢٢٩٣٠٠٠٢٩ ـ ٠١١٥٧٧٦٠٠٥٢

Email : yastoron@gmail.com

موقعنا على الفيس بوك : مؤسسة يسطرون لطباعة وتوزيع الكتب

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

اللهم إني أسالك خشيتك في الغيب

والشهادة وكلمة الحق في الغضب والرضا

والقصد في الفقر والغنى

إليها..

تلك التي عدتُ معها للذاكرة، للأشياء الجميلة

تلك التي تأتي روحًا ونبضًا وحلمًا وخيالًا

لكِ وحدكِ هذه الكلمات

أستميحكِ عذرًا في إطلاع الآخرين عليها

مقدمة

قد نتوقف في حياتنا كثيرًا عند محطات، نخوض فيها حوارات مع آخرين، تتحول فيما بعد، إلى محاولات استقطاب حادة في النقاش، نتيجتها تكون انحيازًا غير مقتنع إلى طرف، أو عداءً لا مبرر له مع طرف آخر.

عندما يترك الإنسان، العنان لخياله ووساوسه وأفكاره، التي تؤيد ما يعتقده فقط، تكون الهوة سحيقة مع الآخرين، فلا أحد يمتلك الحقيقة المطلقة، والتي بالتأكيد ليست ملكًا لشخص بعينه.

ما يجري حولنا ليس سوى مجرد تفاصيل صغيرة، نعتقد أن الدنيا والعمر أقل زمنًا من أن نهدرهما في التوقف عندها كثيرًا، أو أن نقع ضحايا أو أسرى التكييف بين الممكن والمثالي، أو ما بين الحق والتحيز.

ما كتبناه من آراء على مدار أكثر من عام، ليست سوى محاولات متواضعة لإعادة قراءة الأحداث بشكل معمق، لنحلل ونكتشف إعادة قراءة المشاهد التي حدثت بالفعل.

أخـيرًا.. مـا نسـتعرضه في هـذه الصفحـات، مـا هـي إلا وجهة نظرنـا تجـاه أحـداث وقعـت بالفعـل، ومـا خلَّفتـه وراءهـا مـن نتائـج، أو هـي محاولـة استشـراف بعـض النتائـج الـتي تبـدو مقدماتهـا منطقيـة تلامـس الواقـع.

محمود زاهر

القاهرة في 01 أبريل 2017

مجتمعنا

ترويض الغضب!

عندما تتشابك الأحداث، يغيب المنطق، وتطفو على الساحة حالة من الغوغائية والتخبط، تجعلنا على أبواب كارثة وشيكة، بعد أن أصبحنا نعيش واقعًا اقتصاديًا مزريًا، ومستقبلًا مرعبًا!

بعد تطبيق رفع سعر تذكرة المترو بنسبة **100%**، لا نستبعد أن تشهد الفترة المقبلة سلسلة جديدة من موجة غلاء، وقرارات مؤلمة، لرفع أسعار سلع وخدمات أخرى، طبقًا لخطة صندوق «النكد» الدولي، التي ربما تحمل كوارث اقتصادية لا تقل قسوة عن تعويم الجنيه!

ربما يكون الأسوأ لم يأتِ بعد، ولذلك بات وشيكًا إلغاء الدعم نهائيًا، وإقصاء أكثر من ثلثي المسجلين ببطاقات التموين، أضف إلى ذلك أن المستقبل القريب يحمل في طياته زيادة جديدة في أسعار الوقود وإلغاء الدعم عن الكهرباء نهائيًا، بعد وإقرار قانون القيمة المضافة، والارتفاع الجنوني في أسعار الدواء!

المؤسف أن من يتحمل تلك الأعباء هو المواطن الكادح البسيط، الذي تذوق مرارة الإجراءات الأليمة، ولم يعد رداء الستر والحياء موجودًا، ليصبح الوضع صعبًا للغاية، في بلد يعاني نصف سكانه تقريبًا من الفقر والعوز!

في ظل عشوائية الخطط والقرارات والتدابير الحكومية الفاشلة، التي ساهمت في تفاقم الأزمة، ومعدلات التضخم في البلاد التي قفزت - في آخر إحصائية - إلى **31.7%**، لتسجل أعلى نسبة خلال الثلاثة عقود الماضية، انهارت قيمة الجنيه أمام العملات الأجنبية، خصوصًا الدولار الأمريكي، وارتفعت الأسعار بشكل جنوني، خصوصًا المواد الغذائية، التي تتأهب إلى موجة جديدة من الزيادات بشكل لم يسبق له مثيل!

لقد نفد مخزون الصبر لدى المصريين، ولم يعد يجدي نفعًا تقديم النصح لهؤلاء القابعين تحت وطأة الظروف المعيشية القاسية، أن يتشبثوا بالصبر والصلاة، كما لم يعد ممكنًا ترويض غضبهم، تفاديًا للفوضى أو اندفاع بركان الصمت، الذي أصبح على حافة الانفجار!

لقد تغيرت خارطة «وشوش» المصريين، لتصبح ناطقة بالإحباط والغُلب والقهر، رسمتها حكومة فاشلة، فاقدة للوعي، جعلتهم غير قادرين على تأمين احتياجاتهم الأساسية، أو مواجهة أعباء الحياة الصعبة!

نعتقد أن هذا التخبط يجعلنا على أبواب كارثة حقيقية، ولم يعد المواطن في حاجة للاستماع إلى سيل التصريحات الرسمية الاستهلاكية المستفزة، والوعود البراقة، بمراعاة الغلابة، وعدم المساس بمحدودي الدخل، الذين بالفعل يحتاجون إلى معجزة لانتشالهم من وحل الفقر المدقع!

الآن، يجب أكثر من أي وقت مضى، اتخاذ خطوات واقعية لوقف نزيف جيوب الغلابة، وتنفيذ شبكة أمان اجتماعي لحماية الفقراء ومحدودي الدخل، من آثار تلك القرارات السابقة واللاحقة، التي وضعت البلاد في مهب الريح!

إننا نتساءل بصدق: إلى أين تتجه هذه الأمة العريقة المستقرة عبر آلاف السنين.. وريثة الحضارات، وملتقى الثقافات، والتي كانت على الدوام حاضنة لكنوز وخزائن الأرض، ومركز إشعاع وبؤرة ضوء لمن حولها؟!

الثلاثاء: 28 مارس 2017

الأسوأ لم يأت بعد!!

مع بداية العام الجديد «2017»، يستحق المواطن المصري عن جدارة، لقب «أيوب العالم في 2016»، لأنه ما زال على قيد الحياة، محتسبًا صابرًا، متشبثًا بالأمل في الله!

تذوق المصريون خلال العام المنصرم، مرارة الإجراءات الأليمة التي شملت زيادة أسعار الدواء والوقود وإقرار قانون القيمة المضافة، إلى جانب سعر صرف «الدولار» الذي وصل إلى مستويات قياسية غير مسبوقة!

«2016» هو عام «خيبة الأمل»، بعد سقف توقعات مرتفعة، تلت وعودًا بالرخاء، لكن الواقع كارثيًا، في ظل غلاء متوحش، وانهيار اقتصادي، يستعصي على الحل، وأدوات معالجة لم تتغير!

عام مرير، شهد ضغطًا مستمرًا على الشعب، وتحميله وحده مسؤولية الموبقات والأوزار والعجز والفشل والإخفاقات والتخبط، وحشره في زاوية اليأس، ليئن تحت وطأة النظرة التشاؤمية للمستقبل والحياة!

سنة شهدت أسوأ موجات الفقر والبطالة، وشُحِّ معظم السلع الأساسية.. مرَّت بظلمها وقمعها وفسادها وتفاوتها الطبقي، لتُنتج حالة من الغليان والاحتقان والغضب، بشكل أكبر مما يتخيله كثيرون من حملة المباخر والمطبلين والأفاقين والمتملقين!

انتهى عام، أصبح فيه أكثر من ثلثي الشعب تقريبًا تحت خط الفقر، ولم يعد قادرًا على تأمين طعامه الأساسي، فيما يظل الثلث الأخير يقاوم آثار «تعويم الجنيه» حتى الرمق الأخير!

نعتقد أن هذا التخبط يجعلنا على أبواب كارثة حقيقية وشيكة، بعد أن أصبحنا نعيش واقعًا مزريًا، ومستقبلًا مرعبًا، مغلفًا بسيل من تصريحات «استهلاكية مستفزة»، ووعودًا براقة بمراعاة «الغلابة»، وعدم المساس بمحدودي الدخل، الذين بالفعل يحتاجون إلى معجزة لانتشالهم من «وحل» الفقر والغلاء!

رحل عام **2016** بلا رجعة، غير مأسوف عليه، بعد أن نفد مخزون الصبر والتحمل، وترك البلاد على شفا إفلاس محقق، ولم يعد يجدي نفعًا تقديم النصح لهؤلاء القابعين تحت وطأة الظروف المعيشية القاسية، أن يتشبثوا بالصبر والصلاة!

عصف الغلاء بالبيوت، ولم يعد رداء الستر والحياء موجودًا، كما لم يعد جديدًا القول بأن البلاد مقبلة على

ما هو أسوأ، انتظارًا لما هو آتٍ من موجات غلاء، في إطار خطط إلغاء الدعم بشكل كامل، وتنفيذ شروط صندوق النقد، ولذلك لا يمكن الوثوق بتحليلات من يُسَمون أنفسهم بالخبراء الاقتصاديين ونظرياتهم البائسة!

أبهرنا العام المنصرم بأحداثه السيئة غير المسبوقة، التي طالت كافة مناحي الحياة، في ظل مناخ عام لا يبشر بخير، منذ قرار التعويم، ولذلك نتصور أن كل مصري يعيش حالة غير إنسانية، هو قنبلة موقوتة تسير على قدمين، بعد كم الإحباط والضجر الذي تراكم داخل النفوس!

نعتقد أن خارطة «وشوش» المصريين، الناطقة بالإحباط والغُلب والقهر، التي رسمتها حكومة فاقدة للوعي، لن تتغير إطلاقًا، ما لم تتحسن مؤشرات الاقتصاد، وزيادة الإنتاج، واسترداد السياحة عافيتها، وارتفاع الصادرات والاستثمارات الأجنبية وتحويلات العاملين بالخارج.

الثلاثاء: 03 يناير 2017

تعويم الغلابة

القرارات «الأليمة» للحكومة «الرشيدة» بتعويم الجنيه، وتحديد سعره «وفقًا لآليات العرض والطلب»، ورفع أسعار المحروقات من 30% ـ 87%؛ لن تشفع معها التصريحات الاستهلاكية، أو ثقافة التضليل الإعلامي!

هذان القراران، وقبلهما تطبيق قانون القيمة المضافة، «نغصّت» حياة الناس، وحولت حياتهم إلى جحيم، لأنها تشكل خضوعًا وإذعانًا وانصياعًا ـ دون قيد أو شرط ـ لإملاءات صندوق «النكد الدولي» القاسية والمجحفة، التي لن تنتهي!!

القراران الأخيران ـ من دون مبالغة أو تنظير ـ لهما تداعيات مريرة على حياة الناس، الذين أصبحت أحوالهم أكثر ضنكًا وسوادًا مما هي عليه، خصوصًا في ظل معاناة الملايين من الأسر، التي تواجه بالفعل أزمات معيشية كارثية!

لعل أبرز التداعيات التي يمكن رصدها بسهولة، هي انهيار قيمة الجنيه، وارتفاع أسعار الغذاء والدواء، وزيادة أسعار الجمارك، وتطبيق السعر الجديد للعملات الأجنبية في

جميع المطارات والموانئ بعد تحرير سعر الصرف!

لم تتوقف الآثار المترتبة عند هذا الحد، فسائقو الأجرة وحتى «التوك توك»، لم يتأخروا في رفع «البنديرة» بشكل عشوائي، فيما استقبل الركاب تلك الزيادات بصمت غاضب، كما زادت أسعار نقل البضائع للسلع والخدمات بشكل لم يسبق له مثيل!!

تداعيات «الخميس الأسود» جعلت المودعين في البنوك يخسرون تقريبًا نصف قيمة مدخراتهم بعد عملية التعويم، حيث تم إيداع أموالهم عندما كان سعر الصرف أمام الدولار يدور حول 7 جنيهات.

المحصلة إذن، مشهد عبثي يتصدره الإحباط واليأس المتصاعدان من كل مكان، وغليان واحتقان وغضب ممتد لقطاعات كبيرة ومؤثرة في المجتمع، وتصاعد السخط الشعبي، نتيجة لتلك القرارات «الغبية»، في ظل غياب تام للبرلمان!!

التدابير الأخيرة «نكّدت» على الفقراء، الذين يتعرضون لأبشع عملية تغييب وعي ممنهجة، فأصبحوا غير قادرين على تأمين احتياجاتهم الأساسية، بعد أن باتوا في وضع لا يُحسدون عليه، في ظل الفقر والجوع والحرمان والمرض، ولذلك لا يمكن تحميلهم وحدهم مسؤولية عبء الواقع الكارثي والغلاء المتوحش، والانهيار الاقتصادي!

نعتقد أنه في ظل عدم وجود أي سياسة تنموية حقيقية، وانعدام العدالة في توزيع الدخول، وتزايد نسبة القابعين تحت خط الفقر، وتآكل وانهيار الطبقة المتوسطة، لا يمكن التنبؤ بما ستسفر عنه الأيام المقبلة، لأننا على أبواب كارثة حقيقية وشيكة!

بكل أسف؛ أصبحنا نعيش واقعًا مزريًا، ومستقبلًا مرعبًا، مغلفًا بسيل من التصريحات «الاستهلاكية المستفزة»، ووعودًا براقة بمراعاة «الغلابة»، وعدم المساس بمحدودي الدخل، الذين بالفعل يحتاجون إلى معجزة لتعويمهم وانتشالهم من «وحل» الفقر والغلاء!

القرارات الأخيرة، سوف تُنتج آثارًا اجتماعية خطيرة، حيث أشعلت غضب الفقراء، ولم تعد الكلمات المعسولة تجدي نفعًا، كما لم يعد بالإمكان التحايل على «خفض الدعم» بأشكال ومسميات مختلفة، على شاكلة «تحريك، هيكلة، تحسين الخدمة» مقابل زيادة الأسعار!

المواطن المصري، لم يجد من «يحنو عليه»، ولم يعد متحمسًا لإبداء أي تفاؤل في المستقبل، ولذلك فإننا نطلق صرخة تحذير قوية، قبل أن يحدث ما لا تحمد عقباه، لأن القادم أسوأ، وموجات الغضب الشعبي لا يمكن توقع نتائجها!!

الثلاثاء: 08 نوفمبر 2016

مرار طافح

«خيبة أمل كبيرة، بعد سقف توقعات مرتفعة للغاية، تلت وعودًا سياسية بالرخاء».. لسان حال المواطن المصري، الذي يعيش واقعًا كارثيًا، في ظل غلاء متوحش، وانهيار اقتصادي يستعصي على الحل، وآليات عقيمة للمعالجة.. لم تتغير!!

«المواطن المصري»، الكادح، البسيط، الذي يواجه الصعاب ويتحمل المشاق، الصابر على نوائب الدهر، أصبح يحيط به الإحباط واليأس من كل مكان، بسبب بطء التغيير المأمول، وعدم استقرار الأوضاع المعيشية، للدرجة التي أصبح معها غير قادر على تأمين احتياجاته الأساسية!!

لن نتحدث عن التقارير «المغرضة» و«المحبطة» التي تشير إلى ارتفاع نسبة التضخم، وزيادة معدلات البطالة، وتهاوي سعر الصرف للجنيه بصورة لم يسبق لها مثيل في التاريخ، وجنون الذهب لمستويات غير مسبوقة، أو الغلاء الذي يتصاعد بشكل متوحش!!

لن نزيد الإحباط عند المصريين، الذين يعيش ثلثهم تحت خط الفقر، بسبب انهيار القطاع السياحي، وانخفاض إيرادات القناة، وتحويلات العاملين بالخارج، وتصاعد وتيرة هروب رؤوس الأموال الأجنبية، وزيادة الدَّين المحلي والخارجي، وتآكل الاحتياطي النقدي، والفساد الذي ينهش المجتمع!!

المواطن المصري بات في وضع لا يُحسد عليه، في ظل الفقر والجوع والحرمان والمرض، وعدم وجود أي سياسة تنموية حقيقية ملموسة، وتآكل وانهيار الطبقة المتوسطة، أضف إلى ذلك ما يتعرض له من ضغوط مستمرة لتحميله وحده مسؤولية عبء فاتورة الديون وفوائدها، وعجز الموازنة العامة من جيبه المهترئ، بما ينذر بكارثة حقيقية وشيكة!!

المؤسف أنه في كل الأحوال، يظل المواطن البسيط «وحده فقط!» هو المطالب دائمًا بالتحمل والصبر والتضحيات والمساهمات والتبرعات، وتسديد فواتير العجز والفشل والإخفاقات والديون والقروض والهِبات!!

باعتقادنا، يجب ألا يكون مستقبلنا مرهونًا بالمِنَح والمساعدات، لأنه رغم الدعم العربي، الذي قدمته دول الخليج «السعودية والإمارات والكويت»، خلال الأعوام الثلاثة الأخيرة، بعشرات المليارات من الدولارات، لإعادة الدماء إلى عروق الاقتصاد، وإنقاذ استعادة الثقة المفقودة،

للتعافي من الوضع المتردي.. إلا أنها ليست حلاً سحريًا على الدوام!!

مساعدات «الأشقاء»، «القروض والودائع البنكية والمنتجات النفطية»، ربما تسهم في حل مشكلات كثيرة، لكنها بالتأكيد ليست سوى مسكِّنَات وقتية، لن تُجدي نفعًا على المدى البعيد، في ظل عدم وجود حلول غير تقليدية، أو خطط للقضاء على الفساد المتغلغل!!

إن النظريات البائدة والحلول الإصلاحية القديمة للاقتصاد، سقطت إلى غير رجعة، ولذلك يجب ألا نرتهن مستقبلاً في سياساتنا الاقتصادية للبنك الدولي أو صندوق النقد، أو لأي دول «مانحة»، منعًا للتدخل في شؤوننا، وتجنب محاولات التأثير على استقلال قرارنا الوطني.

يجب أن نعتمد على أنفسنا، في المقام الأول، من خلال انتهاج سياسات جديدة.. واضحة وشفافة، وتعزيز فرص نمو أكثر شمولاً، تكون قابلة للاستمرار، مع تطوير أسواق التمويل المحلية، وإعادة تشغيل المصانع المتوقفة، وتشجيع الاستثمار في مختلف القطاعات.

الثلاثاء: 18 أكتوبر 2016

ولا تلقوا بأنفسكم في «المتوسط»

لا تزال إشكالية «البحث عن وطن بديل» أو «الهجرة»، تمثل هاجسًا مخيفًا لدى قطاع عريض من شبابنا، بعد أن ضاقت عليهم أرض الوطن بما رَحبت، بحثًا عن حياة كريمة وفرص عمل تبعدهم عن شبح البطالة والفقر، وتمكِّنهم من تحقيق طموحاتٍ تبدَّدت.

الأيام الأخيرة شهدت تناميَ تلك الظاهرة القديمة ـ المتجددة، التي تبعث على القلق، خصوصًا أن الكثير من الشباب لا يمل من تكرار محاولة الهجرة والبحث عن السفر، لأسباب يرونها كفيلة لتحقيق أحلامهم، بعدما ضرب اليأس بجذوره في نفوسهم، من تحقيقها في وطنهم.

هؤلاء الشباب سيطرت عليهم نوازع الرغبة والإلحاح في الهجرة، بعد صراع مرير مع أمواج عاتية من الإحباط، حتى استقر في نفوسهم يقينًا أنه لا أمل، أو طوق نجاة، إلا بالرحيل عن أرض الوطن، حتى لو كلفهم الأمر حياتهم!

الأمر خطير، ويحتاج إلى دراسة مجتمعية شاملة، وجهود حقيقية، لمواجهة هذه الأزمة المتجذرة، وعدم الاكتفاء بالوقوف متفرجين، حتى لا نُفاجَأ ذات صباح بتفريغ الوطن من شبابه، الذين يعيشون بالفعل واقعًا مريرًا وتهميشًا واضحًا.

لعل ما حدث، قبل أيام، قبالة سواحل مدينة رشيد على البحر المتوسط، يشكل وصمة عار، تتحمل فيه السلطات المصرية الجانب الأكبر من المسؤولية، بعد أن كرَّست المأساة تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية.

إن فاجعة «رشيد» لن تكون الأخيرة، خصوصًا في ظل عدم إجراء الدولة مراجعة شاملة وجذرية لأسلوبها في مجالات التنمية، بعد أن أصبحت مصر بلدًا مُصدرًا للهجرة غير النظامية من شعبها، وليست معبرًا للشعوب الأخرى فحسب.

نتصور أنه لا توجد أي سياسة تنموية حقيقية، تزامنًا مع انعدام العدالة في توزيع الدخول، وتزايد نسبة القابعين تحت خط الفقر، وتآكل وانهيار الطبقة المتوسطة في المجتمع، بما ينذر بكارثة حقيقية وشيكة!

ما يثير الدهشة، أن هناك سعيًا دائمًا من المصريين للهجرة، بل إن منهم أطفالًا يعرِّضون أنفسهم للموت بمساعدة أسرهم، بسبب انسداد الأفق الاقتصادي أمامهم، وتفشي ظاهرة الفساد في البلاد!

قد يكون أصعب ما يواجهه الشباب خلال هذه المرحلة، هو الإحباط، الذي أصابهم بحالة من الشلل النفسي والاجتماعي والعائلي، ما جعلهم عنصرًا سلبيًّا في المجتمع، وعبئًا ثقيلاً على كاهل الدولة وعلى أسرهم أيضًا!

الشباب أصبحوا مغيَّبين في وضع خارطة مستقبلهم، ويشعرون بأن ما يقال عن احتلالهم الصدارة وتصدّرهم المشهد في كل خطط التنمية، ما هو إلا حبر على ورق، ولا أثر واضحًا على أرض الواقع، مما أسهم في فقدان المصداقية، إضافة إلى تكريس الفجوة بين الشباب والحكومات المتعاقبة خلال العقود الأخيرة.

إنها مأساة جيل بأكمله، أكثر من نصفه من العاطلين الذين يعيشون على هامش المجتمع، من دون مشاركة حقيقية في الإنتاج.. بلا أهداف أو آمال أو حتى أحلام، ما يستدعي أن تكون هناك حلول عملية وواقعية، بعيدًا من التنظير الذي يلقي بشبابنا إلى التهلكة!

الثلاثاء: 04 أكتوبر 2016

الضرب في «الشعب» حرام!!

كثر في الآونة الأخيرة؛ «الهمس»، وازدادت «الإيحاءات» و«الإيماءات»، وربما «المخاوف»، من احتمالية حدوث غضب شعبي «بشكل ما»، و«استحضار» أحداث يناير **1977**، مع اتجاه الحكومة «الرشيدة» لاتخاذ إجراءات «مؤلمة»، في إطار الاتفاق الأخير مع صندوق «النكد» الدولي!

في العام **1977** خرجت مظاهرات طلابية ونقابية وعمالية، ضد قرارات رفع أسعار السلع، التي أعلنها «القيسوني» نائب رئيس الوزراء للشئون الاقتصادية، أمام مجلس الشعب «البرلمان»، ضمن خطة تقشفية للسيطرة على العجز، بالاتفاق مع صندوق النقد والبنك الدوليين، تضمنت رفع أسعار الخبز والسكر والشاي والأرز والبنزين وعدد كبير من السلع الأساسية.

اضطر الرئيس الراحل أنور السادات للتراجع عن تلك القرارات التي أشعلت مظاهرات **18** و**19** يناير، وأدت لأحداث عنف، أحرقت أقسام شرطة ومباني حكومية، أعقبها نزول الجيش لفرض الأمن ومنع المظاهرات، وإعلان حالة الطوارئ.

بعد وقوع هذه الأحداث الشهيرة، نأت الحكومات المتعاقبة عن خفض الدعم، الذي ظل قضية حساسة للأنظمة كافة، إلى أن تم التحايل عليها خلال ثلاثة عقود، بأشكال ومسميات مختلفة، على شاكلة «تحريك، هيكلة، تحسين الخدمة» مقابل زيادة الأسعار!

إن أحداث التاريخ قد تتشابه في بعض معطياتها ومقدماتها، لكنها بالضرورة لا تؤدي إلى النتائج نفسها، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار اختلاف الظروف والخلفيات السياسية والاقتصادية لكل مرحلة، وبالطبع تغير اهتمامات الناس!

ربما يكون التشابه في وجود مجموعة من التراكمات لدى الشعب، الذي لم يستفد من الانفتاح الاقتصادي بعد تضحياته في حرب أكتوبر، وكذلك بعد ثورته على نظام مستبد لثلاثة عقود، ثم الإطاحة بحكم الإخوان عقب عام واحد فقط!

المحصلة إذن، خيبة أمل كبيرة، بعد سقف توقعات مرتفعة للغاية، تلت وعودًا سياسية بالرخاء، لكن الواقع على الأرض أصبح كارثيًا، في ظل غلاء متوحش، وانهيار اقتصادي، يستعصي على الحل، خصوصًا أن أدوات المعالجة هي نفسها لم تتغير!

إن الضغط المستمر على الشعب، وتحميله وحده مسؤولية عبء فاتورة الديون وفوائدها وعجز الموازنة العامة من جيبه المهترئ، يمثل خطرًا كبيرًا، يهدد الاستقرار في المجتمع، في ظل الفقر والجوع والحرمان والمرض!

لكن، الظروف تغيرت، والأوضاع ازدادت سوءًا، ولم يعد بالإمكان أن يحيا المواطن حياة كريمة، في ظل تآكل واختفاء الطبقة الوسطى، وارتفاع الدين المحلي والخارجي، يُضاف إليهما قروض وودائع لا نعرف أين ذهبت ولا فيما أُنفقت؟

بالتأكيد، إن تضخم الدين الخارجي أو حجمه يدعو للقلق، ولكن وتيرة معدل نموّه وغياب الرؤية حول البدائل المطروحة لسداد تلك الالتزامات هو ما يثير الرعب، كما أن تراجع أرصدة الاحتياطي من النقد الأجنبي يثير التساؤلات حول مدى قدرة الدولة على الالتزام بسداد أقساط وفوائد ديونها الخارجية، وفقًا للآجال المحددة.

المؤسف أنه في كل الأحوال، يظل الشعب «وحده فقط» هو المطالب دائمًا بالتحمل والصبر والجلد والتضحيات والمساهمات والتبرعات، وتسديد فواتير العجز والفشل والإخفاقات والديون والقروض والهبات!

ما يثير القلق والمخاوف هو انتقال التزامات سداد كل هذه الديون وفوائدها إلى الأجيال المقبلة، التي بات ينتظرها مستقبل غامض، مثقل بالديون ومليء بالتوقعات المرعبة؛ حيث لن يمكنها الوفاء بكل هذه الالتزامات في ظل اقتصاد يتهاوى ويتداعى باستمرار؟!!

الثلاثاء: 23 أغسطس 2016

لا مساس!!

منذ عقود؛ وأزمات مصر متكررة ومعروفة، لا تحتاج إلى عباقرة أو خبراء لتشخيصها، بل إنها فقط تحتاج لحلول واقعية «رحيمة»، تراعي أحوال الناس ومعاناتهم، وتلبية أبسط متطلباتهم واحتياجاتهم اليومية.

تصريحات المسؤولين ـ ليلاً ونهارًا ـ خلال الفترة الأخيرة، كلها تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك، أنه «لا مساس» بمحدودي الدخل، وترشيد الدعم وإيصاله إلى مستحقيه، وأن ارتفاع الأسعار لن يؤثر على الفقراء ـ الذين يمثلون الآن غالبية المجتمع!

بكل أسف؛ أصبحنا نعيش واقعًا مريرًا يعبر عن مرحلة «أقوال لا أفعال».. سيل من التصريحات «الاستهلاكية» لم تتبدل ولم يطرأ عليها أي تغيير منذ عقود.. وعود براقة بمراعاة «الغلابة».. وخطب إنشائية لا يستبشر الناس بها خيرًا، وكلام معاد ومكرر، لكنه بالتأكيد تكرار ممل!

أخيرًا؛ «أضاءت» الحكومة أولى الخطوات الفعلية والعملية، في قطاع الكهرباء، فقامت برفع الأسعار بنسب تتراوح ما

بين **25 ـ 40%**، بشكل لا يحتمله محدودو الدخل، وبالتأكيد الطبقة الوسطى التي اختفت وتآكلت بفضل عوامل الغلاء المستمر منذ أكثر من ثلاثة عقود.

برأينا؛ ستشكل قرارات رفع أسعار الكهرباء عبئًا إضافيًا كبيرًا على محدودي الدخل والمعدَمين، وستنتج تلك الزيادات الجديدة آثارًا اجتماعية خطيرة، لأنها سوف تُشعل غضب الفقراء، الذين تحملوا كثيرًا من أجل تحسين أوضاعهم، طبقًا لما وُعدوا به.

إن هيكلة الدعم وضمان وصوله لمستحقيه لا يختلف عليه أحد، ولكن الأزمة تكمن في استمرار التفكير بـ«روشتة رفع الأسعار»، من دون حل المشكلة من جذورها، ولذلك لا يمكن القبول بأن تكون خطط الحكومة لهيكلة الدعم الذي يلتهم الحصة الأكبر في الموازنة العامة، على حساب جيوب المحرومين التي أصبحت «مهترئة»!

رغم التأكيدات المستمرة بأن رفع الأسعار لن يطال الفقراء، لكن خطة الأسعار الجديدة التي أعلنها وزير الكهرباء تشير إلى أن الجميع سوف يواجه زيادة في أسعار الفواتير بأثر رجعي، بعد أن تم تقسيم الناس إلى **7** طبقات، كلها تدور في فلك معدومي الدخل!

ما أعلنه المسؤولون من أن الأسعار الجديدة تأتي وفقًا لخطة الحكومة **2016 – 2017**، برفع الدعم تدريجيًا عن

أسعار الكهرباء، سيكون له مردود سلبي، خصوصًا أن تلك الزيادات، قد يربطها المواطن البسيط «تلقائيًا» بالمفاوضات مع صندوق النقد الدولي، لحصول الحكومة على قرض بقيمة **12** مليار دولار لتمويل العجز في الموازنة العامة، حتى تستطيع الوفاء بالتزاماتها الخارجية التي بلغت مستويات مرعبة خلال الفترة الحالية.

نعتقد أن المواطن المصري، الذي يعاني بالفعل، ويواجه الصعاب ويتحمل المشاق.. الصابر على نوائب الدهر، لن يستطيع الصمود أمام الضربات الموجعة والأليمة لمشاريع القوانين الجديدة التي تنتظره قريبًا، بدءًا بـ«ضريبة القيمة المضافة» على السلع والخدمات!

المواطن البسيط الكادح، أمام تحدٍ كبير، لأنه لا «يجد من يحنو عليه»، في ظل غياب تام للبرلمان، الذي يتجاهل تمامًا معاناته، ربما لانشغاله بالموافقات الأوتوماتيكية على مشاريع القوانين، التي أقر بعضها، بانتظار أخرى «قاسية»، سوف ترى النور قريبًا، تستهدف فرض رسوم وضرائب، لإنقاذ اقتصاد البلاد المتهاوي، وسد عجز الموازنة.

الثلاثاء: 09 أغسطس 2016

«تعويم» المواطن المصري!

الدولار الأمريكي ـ بكل أسف ـ يواصل للعام الثالث على التوالي، «انتهاك» الجنيه المصري، معلنًا تخطيه سقف الاثني عشر جنيهًا للمرة الأولى في التاريخ، كما أنه يبدو «عاريًا» من أي غطاء يقيه من التضخم المتزايد!

مع وصول سعر صرف الدولار إلى أعلى مستوى له على الإطلاق أمام الجنيه المصري، يبدو التخوف قائمًا من حدوث مزيد من الغلاء، وعجز إضافي في موازنة الدولة، وارتفاع الديون العامة، إضافة إلى إفلاس آلاف الشركات والتجار، وخفض التصنيف الائتماني للبلاد.

عندما يتخطى سعر صرف الدولار حاجز الـ**12** جنيهًا في السوق الموازية «السوداء»، بفارق يزيد على السعر الرسمي نحو ثلاثة جنيهات، تبقى كافة الاحتمالات قائمة، أبرزها ارتفاع جديد خلال الفترة المقبلة، قد يصل إلى **15** جنيهًا.

الفترة الماضية، تابعنا سيلًا من التصريحات المتناقضة، أعقبت القفزة الكبيرة في سعر الدولار أمام الجنيه، خصوصًا

تصريحات محافظ البنك المركزي، التي ألمح فيها إلى عدم وجود خطط لتعويم الجنيه حاليًا!

اللافت - بحسب التقارير - هو انخفاض الصادرات المصرية بنسبة **27.5%** خلال تسعة أشهر، وانخفاض عائدات السياحة **40.5%**، والتحويلات النقدية للعاملين في الخارج **13.6%**، ودخل قناة السويس **5%**.

نعتقد أن هروب الاستثمارات الأجنبية، وانهيار قطاع السياحة، وانخفاض معدل نمو الناتج القومي، وزيادة حجم الواردات «الضرورية والتافهة» أدى إلى تكالب الطلب على العملة الأجنبية لاستيراد السلع، في ظل إجراءات حكومية أدت إلى مزيد من التخبط في سعر الصرف.

إن استمرار السياسة النقدية على النحو المتبع قد يؤدي إلى اشتعال أكثر لأزمة الدولار في مصر، حيث فقد الجنيه المصري أكثر من **40%** من قيمته خلال عامين فقط، خصوصًا أن أسعار الدولار تقف على العرض والطلب، كما أن محاولات ضخ ملايين الدولارات لن تستطيع تحقيق التوازن المطلوب، ولذلك فإن سعر الدولار - باعتقادنا - سيظل في زيادة مستمرة، وربما يصل إلى **15** جنيهًا خلال الأسابيع القليلة المقبلة.

إن الأزمة متراكمة منذ عامين وليست وليدة شهر أو شهرين، لكنها تفجرت مرة واحدة، مما جعلها تخرج من يد الدولة، كما أن هناك فجوة كبيرة بين الأسعار المعلنة

من البنك المركزي الخاصة بتسعير الدولار، وبين التعامل السوقي، سواء في البنوك أو شركات الصرافة، ومن بينها البنوك الحكومية التي تخضع لرقابة وإدارة البنك المركزي نفسه!

لقد تسببت أزمة الدولار في ارتفاع حدة المطالب برحيل محافظ البنك المركزي المصري بعد الفشل الذريع في مواجهة الأزمة وضبط حركة الدولار، كما تعالت الأصوات المطالبة بتغيير وزراء الحقيبة الاقتصادية «التجارة والصناعة والسياحة والمالية والاستثمار».

إن جميع الإجراءات التي اتخذها البنك المصري خلال الفترات الماضية في خفض سعر صرف الدولار باءت كلها بالفشل، لأنه على رغم تعدد القرارات الصادرة، إلا أنها لم تجد حلاً حقيقيًا للمشكلة، ولم تتجاوز كونها مجرد مسكنات، بعيدة تمامًا عن الحلول المنطقية والواقعية.

لقد طالت أزمة «غرق الجنيه» وتهاويه أمام الدولار، كل شيء تقريبًا، وأسفرت عن غلاء متزايد في معظم الأسعار، جعلت الناس غير متحمسين لإبداء أي تفاؤل في المستقبل، ما يجعل من الضروري وضع خطة إنقاذ عاجلة لـ«تعويم» المواطن المصري، و«انتشاله» من مستنقع الغرق في الغلاء!

الثلاثاء: 26 يوليو 2016

عالمنا

قمة «الصمت الخجول»!

لا أحد في الوطن العربي يعوِّل كثيرًا على انعقاد القمة العربية التي ستنطلق قريبًا في العاصمة الأردنية عمَّان.. ليس بسبب التغيب المتوقع لعدد من القادة العرب، ولكن لأنها ستكون كسابقاتها، مجرد تحصيل حاصل، وخطب إنشائية وبلاغية، لا تسمن ولا تغني من جوع!

نتوقع أن تظهر القمة بصورة باهتة.. يتمخض عنها بيان ختامي لا يستحق الحبر الذي كُتب به.. توصيات تكرس زيادة نزيف الجُرح العربي، وتعزيز الاصطفافات الحادة، وتبادل الاتهامات بدعم المجموعات الإرهابية وتوظيفها في الصراعات الإقليمية!

رغم ما يعيشه الوطن العربي، من المحيط إلى الخليج، من حالة مزرية، مليئة بعشرات الملفات والقضايا الشائكة والحروب والصراعات والأزمات، إلا أن القمة الجديدة ليست سوى رقمًا في عدَّاد الاجتماعات الروتينية، وكأن مجرد عقد القمة بشكل دوري يعد نجاحًا كبيرًا!

نتصـور أن معظـم الـدول المشـاركة في القمـة غـير مؤهلـة لإطـلاق مبـادرات أو صناعـة مفاجـآت، بفعـل اسـتغراقها في أزماتهـا الداخليـة، الـتي يـكاد يكـون بعضهـا وجوديًـا، وكذلـك وجـود علاقـات غـير طبيعيـة في حدهـا الأدنـى بـين الأشـقاء!

في ظـل أحقـاد وصراعـات ومحـاور ورهانـات مزَّقـت روابـط التاريـخ والجغرافيـا، لا نسـتطيع أن نبـدي تفـاؤلًا بهـذه القمـة أو غيرهـا في المسـتقبل، لأن الشـواهد تؤكـد أن العـالم العربـي علـى طولـه وعرضـه واتسـاعه، مـا زال ينزف أوجاعًـا ومثخنًا بالجراح!

العـالم العربـي الآن يعيـش أسـوأ مراحلـه التاريخيـة، حيـث تعيـش دولـه محاصـرَة بأزماتهـا السياسـية ومنشـغلة باقتصادهـا المتهـاوي ومواجهـة الإرهـاب، وكثـير منهـا مسـتباحة، منتَهَكـة السـيادة، تخيـم عليهـا الفتنـة البغيضـة، كمـا يسـتعصي علـى بعضهـا الحـل السياسـي!

ملايـين الـدولارات تصـرف علـى هـذه الاجتماعـات، وفي النهايـة لا تخـرج بقـرار يقـدم مسـاعدة لـدار أيتـام.. كلهـا توصيـات لا ترتقـي إلى الحـد الأدنـى مـن تطلعـات الشـعوب، الـتي فقـدت الأمـل في اسـتفاقة عربيـة، تنتشـلها مـن وحـل التفتيـت والتقسـيم!

خـلال سـبعة عقـود، انعقـدت عشـرات القمـم، كان القاسـم المشـترك فيهـا جميعهـا بـلا اسـتثناء، القضيـة الفلسـطينية، بدءًا مـن أكتوبـر **1945** عندمـا دعـا فـاروق الأول ملـك مصـر والسـودان

«آنـذاك»، لعقـد قمـة علـى مـتن يختـه في البحـر الأحمـر، دعـا إليهـا زعمـاء الدول المؤسسـة «مملكة مصر والسـودان، مملكة شـرق الأردن، المملكـة العربيـة السـعودية، المملكـة المتوكليـة اليمنيـة، المملكـة العراقيـة، الجمهوريـة اللبنانيـة، الجمهوريـة السـورية».

الآن لم تعـد القضيـة الفلسـطينية قاسمًـا مشـتركًا، بعـد أن أضيفـت إليهـا سـوريا واليمـن وليبيـا والعـراق والسـودان والصومـال.. وبعـد أن كانـت تلـك الـدول سـبعًا قبـل سـبعين عامًـا، أصبحـت اثنتـين وعشـرين، بـل يمكـن أن نضيـف سبعًا، إذا استمر التدهـور والتفـكك والحـروب الأهليـة والإرهاب الحاصـل في أغلـب تلـك البلـدان!

الأحـداث المتسـارعة في الـدول العربيـة تبعـث علـى القلـق والحـزن، لأن القـادة العـرب في موقـع المتفـرج الدائـم؛ والمواطـن العربـي المقهـور لا يـزال قابعًـا في مكانـه، ينتظـر «فرجًـا غيبيًـا»، كمـن يلهـث وراء «سـراب» يحسـبه الظمـآن مـاء، متحليًـا بـ« الصمـت الخجـول»، وكلمـا عصفـت بـه كارثـة، ينتظـر «صابـرًا محتسـبًا» أن تحـل بـه أخـرى!

الجسـد العربـي أُنهـك خـلال السـنوات السـت الأخـيرة، بنصـف ثـورات أو ثـورات غـير مكتملـة، حـادت عـن طريقهـا، ولم تحقـق أهدافهـا، سـواء أكان ذلـك بفعـل فاعـل، أم بخيارات خاطئـة، ولذلـك نتصـور أن الوضـع سـيظل قائمًـا، إلى حـين، وعلـى المتضـرر «العربـي» أن يسـتفيق مـن سـباته، ويـدرك

المخاطـر، لأن العـالم قـد تغـير بالفعـل، ولا مـكان للضعفـاء عسـكريًا واقتصاديًـا وعلميًـا ! !

الثلاثاء: 07 مارس 2017

تطبيع.. من الدرجة السياحية!

طبيعة المصريين ـ كما وصفها هيرودوت ـ أن لديهم القدرة على تمصير الوافدين إليهم، ولا يذوبون في المجتمعات الأخرى، كما لا يتأثرون بها، بل يظلون محافظين على هويتهم وخصوصيتهم.. هذا ما أثبته التاريخ الحديث، حيث رأينا كيف قاوم المصريون الثقافتين «الأنجلو ـ فرنسية»، ورحل الاثنان دون أن يتركا بصمة تدل على وجودهما في المجتمع، رغم انبهار بعض المثقفين المصريين بالثورة الفرنسية.

تلك المقدمة نراها ضرورية لإزالة المخاوف والالتباس عند البعض، إزاء التقارب المصري ـ الإيراني، خلال الفترة الأخيرة، بعد أن شهدت العلاقات بين البلدين قطيعة كاملة منذ قيام الثورة الإسلامية في العام **1979**.

على ما يبدو، فإن العلاقات بدأت في التحسن التدريجي، خلال السنوات الأخيرة، بفعل المتغيرات الإقليمية والدولية بالمنطقة، في ظل تبنِّي سياسة عدم إغلاق الباب نهائيًا أمام عودة العلاقات.. أي لا قطيعة تامة أو تطبيعًا كاملًا، ولكن

ربما تتصاعد المخاوف الإقليمية والدولية جراء هذا التقارب لما يمثله البلدان من ثقل استراتيجي، ومكانة إقليمية، ونفوذًا كبيرًا في المنطقة، لا سيما تأثيرهما المباشر وغير المباشر في العديد من الملفات والقضايا الشائكة.

نتصور أن تأخر عودة العلاقات إلى طبيعتها بين البلدين تحكمه بعض الهواجس الخارجية، التي أصبحت لا محل لها من الإعراب، أو «الداخلية» من الجماعات السلفية وبعض الساسة، الذين يتوجسون خيفة بـ«تشيّع» المصريين!

قد نتفهم مبعث القلق والتخوف الذي يبديه هؤلاء، ولكن ليس بهذا الشكل المبالغ فيه، حيث يبدو الأمر لديهم، وكأن مصر بأزهرها وشعبها وثقافتها وعراقتها وحضارتها؛ ستصبح في الغد القريب على موعد مع التشيُّع!

نتصور أن مطمع الإيرانيين من هذا التقارب، ليس توجهًا شيعيًا في المقام الأول، بل سعي للتقارب على كافة الأصعدة؛ لتحقيق أهداف سياسية واقتصادية، أما القول بـ«تشيُّع» المصريين جراء تدفق السياحة، فالإيرانيون يقصدون بلادًا كثيرة ولم نسمع عن أن توجههم السياحي يدعو في باطنه إلى التشيُّع، وإلا لرأينا تركيا السنّية تعتنق المذهب الشيعي.

بلغة المصالح والسياسة، فإن مصر تحتاج إلى نهج سياسي جديد يعتمد على الندية والمصالح في علاقاتها، دون أي مساس بالثوابت الوطنية والعربية، لدعم الاقتصاد وتنشيط

التجارة، وإحياء السياحة التي ماتت إكلينيكيًا قبل ست سنوات!

إن مصر في هذا الوقت تحتاج إلى صناعة المستقبل بصيغة جديدة، وفقًا لمقولة «لا أصدقاء قدامى ولا أعداء تاريخيين»، باستثناء الكيان الصهيوني المحتل، كما أن إيران لم تعد تفكر في تصدير الثورة مثلما يعتقد المنشغلون بالمسألة الطائفية، حيث انتهى هذا العصر تمامًا مع نهاية الحرب العراقية الإيرانية، لأن طهران لها أهدافها الأخرى، ولديها مشكلاتها الداخلية والإقليمية والدولية.

إننا نود التأكيد على أن لمصر كل الحق في إقامة العلاقات مع مَن تشاء، والاستفادة ممن تشاء، شريطة أن يكون الأمن الخليجي والعربي نقطة أساسية في كل لحظة وفي إطار أي تحرك!

أخيرًا.. هناك سؤال مشروع وموضوعي حول مسألة التشيُّع والتحذيرات المنهجة في هذا الخصوص، والتي يُمكن قلبها بسهولة: لماذا لا يكون التقارب المصري الإيراني فرصة للمدّ السنّي في بلاد فارس؟!

الثلاثاء: 14 مارس 2017

القاهرة والرياض.. أزمة غير «عابرة» !

لم تكد تنتهي موجة الغضب والتوتر بين القاهرة والرياض، عقب تصويت مصر لصالح مشروعى قرارين مختلفين فى مجلس الأمن، أحدهما فرنسى والآخر روسى، لوقف العنف فى حلب، حتى طفت على السطح تبعات مقلقة!

ورغم التزام الجانبين «رسمياً» الصمت إزاء هذه الأزمة، إلا أن التراشق والتلاسن الإعلامى، وكيل الاتهامات، بلغ حد التهديد والوعيد، والتذكير بـ«أفضال» كل بلد على الآخر، خصوصاً بعدما حدث مؤخراً من سحب مصر «المفاجئ» مشروع قرار فى مجلس الأمن بوقف الاستيطان «الإسرائيلى» !

التوتر «الدفين» صاحبته إشارات سلبية، و«كيد سياسى»، بدءاً بوقف الإمدادات النفطية، وليس انتهاءً بزيارة مستشار العاهل السعودى لإثيوبيا مؤخراً، والتى أعقبتها زيارة وزير الخارجية القطرى لأديس أبابا، لتتحول العلاقات إلى أزمة غير عابرة!

لم يكـن أكثـر المتشـائمين يعتقـد أن العلاقـات المصريـة – السعودية، «المتينـة» بعـد «**30** يونيـو»، والتـى كانـت متطابقـة فـى كل شـىء، قـد تصـل إلى مـا يشـبه القطيعـة.. وسـط حالـة مـن الهجـوم الإعلامـى لم تشـهده الدولتـان منـذ نصـف قـرن!

البلـدان يعلمـان جيـداً أن تحالفهمـا كان حتميـاً، فـى أعقـاب الإطاحـة بنظـام الإخـوان، ومـا تـلاه مـن احتيـاج مصـر للدعـم المـالى الفـورى، وكذلـك السـعودية وخلفهـا دول الخليـج، الذيـن ينتظـرون «رد الجميـل»، ودعـم القاهـرة فـى الملفـين السـورى واليمنـى ومنـع تمـدد النفـوذ الإيرانـى بالمنطقـة!

هكـذا بـدا الارتبـاط بـين مصـر والخليـج بقيـادة السـعودية، ولكـن ذلـك لم ينـفِ وجـود تناقضـات مهمـة، تم تأجيلهـا مرحليـاً، لكـن هـذا التأجيـل لم يكـن للأبـد، لأنـه سـرعان مـا بـدأت التناقضـات تهيمـن علـى العلاقـات القويـة، لتُضعفهـا وتصـل بهـا لحـد الأزمـة.

تبايـن المواقـف إزاء الملفـات الشـائكة بالمنطقـة، عجّـل بتفجـر الخلافـات سـريعاً، خصوصـاً موقـف مصـر مـن الأوضـاع فـى اليمـن وسـوريا، وتصاعـد الخصومـة بـين القاهـرة وحلفـاء الرياض «الدوحـة وأنقـرة»، وتطابـق الرؤيـة المصريـة مع خصـوم السـعودية إيـران و«حـزب الله» وروسـيا، ليصبـح الحليفـان «السـابقان» فـى خندقـين مُتقابلـين، خصوصـاً بعـد حسـم معركـة حلـب لصالـح نظـام بشـار، لتسـوء العلاقـات أكثـر بـين البلديـن.

الرياض تعلم جيداً أن القاهرة ترى أن الإسلام السياسى بكل أطيافه، الخطر الأكبر الذى يجب مواجهته، ولا يُمكن أن تكون فى تحالف يضم خصومها الداعمين لـ«الإخوان»، على العكس من السعودية التى تورطت معهم فى حرب اليمن والأزمة السورية، لتعانى بشدة من استنزاف ممتد لمواردها، والتى تراجعت بالفعل جراء انهيار أسعار النفط!

ولكن؛ رغم التطورات المتسارعة، خصوصاً بعد «تباطؤ» تنفيذ اتفاقية ترسيم الحدود البحرية بشأن «جزيرتى تيران وصنافير»، وتناقض الرؤى، وصعوبة وقف نزيف تدهور العلاقات.. إلا أننا ما زلنا نأمل فى عودة الحكمة وصوت العقل فى الجانبين، وأن يكون التوتر مجرد سحابة صيف عابرة، سرعان ما تتلاشى، لتبقى المصالح الاستراتيجية والقواسم المشتركة، حاكمة للعلاقات بين البلدين «الشقيقين».

الثلاثاء: 27 ديسمبر 2016

«تخصيب» البيت الأبيض!

قبل أسابيع من انتقال دونالد ترامب «رسميًا» إلى البيت الأبيض، تدخل أمريكا ومعها العالم، مرحلة «الانتظار»، لمستقبل السياسة الداخلية والخارجية للرئيس المُنتخب.

الجميع يحبس الأنفاس ترقبًا لفهم ما إذا كان حجم القلق من «ترامب» مبالغًا فيه، بسبب تصريحاته العنصرية والصادمة خلال الانتخابات، أم أن دولة المؤسسات ستتغلب في النهاية.

ردود الفعل العالمية، التزمت الصمت الحذر، تجاه «ترامب»، انتظارًا لوضوح بوصلة الإدارة الأمريكية الجديدة، باستثناء إيران، التي أبدت قلقًا مبكرًا، خصوصًا ما يتعلق باتفاقها النووي.

استبقت طهران تسلم «ترامب» السلطة في يناير المقبل، برسائل تحذيرية، خوفًا على مستقبل الاتفاق النووي، الذي يمثل «الإنجاز الأوحد» لحكومة «روحاني»، التي تعوِّل عليه، للفوز بفترة رئاسية ثانية، في انتخابات مايو **2017**.

الأمر تعدى الرسائل التحذيرية، إلى تهديد واضح للحرس الثوري الإيراني، على خلفية لغة وعيد صريحة لمرشد

الثـورة علـي خامنئـي، بـرد فعـل قـوي ومزلـزل علـى «خروقـات الإدارة الأمريكيـة الجديـدة» !

لكـن؛ يظـل الاتفـاق، الـذي يحظـى بشـرعية دوليـة «قـرار مجلـس الأمـن **2231**»، ملفًـا شـائكًا قابـلًا للانشـطار، في حـال تحولـت تهديـدات «ترامـب» إلى إجـراءات تنفيذيـة، خصوصًـا بعـد إقـرار مجلـس النـواب الأمريكـي، تمديـد العقوبـات علـى إيـران للمـرة الثانيـة لمـدة **10** سـنوات!

تخوفـات إيـران مبنيَّـة علـى توجهـات الرئيـس المنتخـب، والمرشـحون لتولـي مناصـب رئيسـية في إدارتـه، حيـث سـينتهجون سياسـة مختلفـة عـن «أوبامـا»، الـتي ـ برأيهـم ـ فشـلت وتغاضـت عـن تدخـلات طهـران في شـؤون دول الجـوار وتمـدد نفوذهـا الإقليمـي.

نعتقـد أن اهتمـام إدارة «ترامـب» بالنـووي الإيرانـي ـ الـذي لم يكـن محـور تفـاوض ثنائيًّـا مـع أمريـكا فقـط ـ سـيجعلها تنتهـج سياسـة أكثـر تشـددًا، الأمـر الـذي قـد يدفـع طهـران لتنشـيط قدراتهـا النوويـة، وذلـك يفسـر أسـباب حرصهـا منـذ بـدء المفاوضـات علـى عـدم الاسـتغناء عـن المكونـات الرئيسـية لبرنامجهـا النـووي!

التجـارب السـابقة أثبتـت إدراك طهـران أنهـا مقبلـة علـى مرحلـة صعبـة، ولـن تسـتجيب لضغـوط أمريكيـة جديـدة، أو تراهـن علـى المجهـول، خصوصًـا أن الـدول الكـبرى «مجموعـة

1 + 5» تشارك إيران نفس القلق، ولا ترغب في زيادة التوتر الحاصل في المنطقة!

نتصور أن أي رعونة أو حماقة قد يُبديها «ترامب» تجاه طهران، ستقلب الموازين في الشرق الأوسط، لأن النتيجة ستكون تطرفًا إيرانيًا «إصلاحيين ومحافظين»، ضد أمريكا التي يعتبرونها «الشيطان الأكبر»!

ربما تلجأ الإدارة الأمريكية الجديدة إلى المزيد من شيطنة إيران داخليًا وخارجيًا، وهو ما سيضيف تعقيدات أكثر على خطة تنفيذ الاتفاق النووي، في ظل التأييد المطلق لـ«ترامب» من الكونجرس «ذي الأغلبية الجمهورية في مجلسيه»، وكذلك «إسرائيل» والغاضبين من سياسة إيران في الشرق الأوسط، خصوصًا السعودية والإمارات!

نعتقد أن السيناريو الأمريكي الأسوأ في المواجهة والتصعيد، هو اللجوء للخيار العسكري المحتمل ضد منشآت إيران النووية، ولكن النتيجة ستكون مزلزلة وكارثية ومرعبة على المنطقة بدون استثناء!

الثلاثاء: 29 نوفمبر 2016

فأعرض عنهم.. وانتظر!

منذ تصويت مصر «المزدوج» في مجلس الأمن حول سورية، هناك «تباعد» مصري ـ خليجي، خصوصًا مع السعودية، التي تحاول تجاهل دور مصر، بزعم أنه بمقدورها الحلول محلها، أو قيادة العالم العربي من دون «شراكتها»!

نتصور أن «واقعة مجلس الأمن» لم تكن الأولى، كما أن وقف «أرامكو» لشحنات النفط، أو واقعة «ثلاجة» تونس التي كان بطلها «إياد مدني» لن تكون الأخيرة، في سياق «التجاذبات» المصرية ـ السعودية!

قبل ذلك، كانت «جروزني» العاصمة الشيشانية، ساحة تجاذب أخرى، ولكن في الميدان الفقهي والاعتقادي، عبر مؤتمر «أهل السنة والجماعة»، الذي استبعد الوهابية والسلفية، ما اعتبرته الرياض انقلابًا مصريًا على هذه المدرسة ورعاتها!

قبلها، كانت الانتقادات السعودية تُصَوَّب على القاهرة، لموقفها «الغامض» من الحرب في اليمن، حيث اعتبرته الرياض نكرانًا للجميل، ولم تحاول استيعاب أن مصر تعي

تداعيات التورط، في حرب لا ناقة فيها ولا جمل!

المؤسف أنه في المقابل، تابعنا مقالات وتغريدات، صدرت عن مسؤولين أو أشخاص معروفين بقربهم من مؤسسات صنع القرار، تؤكد أنه «لا جدوى» من الاستمرار في تقديم المساعدات لمن «لا يستحقها»، أو «عمل المعروف في غير موضعه».. الأمر الذي ربما يعبر عما يجيش في الصدور وما يدور في الأنفس!

نعلم أن دول الخليج ـ خصوصًا المملكة ـ سعت إلى دعم مصر ماديًا وسياسيًا ـ منذ ثورة يناير ـ مدفوعة بمصالحها وأجنداتها، أو ربما لأسباب أخرى لا تبدو واضحة، ولكن ذلك لا يعطيها الحق في إملاء شروطها وتوريط مصر في حروب بالوكالة!

ربما تصورت السعودية أن مصر تعيش أوهام قيادة العالم العربي، وأنها لم تعد مهيأة لذلك، بسبب أزمتها الاقتصادية الطاحنة، ولكن تبقى مصر هي مصر، حتى لو لم تكن في أحسن حالاتها، ولا يمكن الخضوع لمزايدات في «بازار» الانتهازية والمراهقة السياسية، بعد أن تحولت المنطقة إلى ملاعب لتصفية الحسابات!

المؤسف، هو تلك المعارك الكلامية التي تحمل على مصر ـ من حين لآخر ـ واتهام القاهرة بنكرانها لجميل المساعدات النفطية والمالية والاقتصادية، التي تتدفق على القاهرة دون انقطاع، منذ ثورة يناير، وتحديدًا منذ الإطاحة بنظام الرئيس المعزول محمد مرسي وجماعة الإخوان.

نعتقد أن القاهرة، تريد الحفاظ على علاقات وثيقة مع السعودية، لكنها لم تستطع أن تتماهى مع الموقف السعودي من الأزمة السورية أو الملف اليمني أو العراقي، وبالطبع الاصطفاف في استعداء إيران، ما أغضب الرياض، التي تريد من مصر أن تكون «تابعة».. وهذا لن يحدث!

عندما قدمت السعودية الدعم لإسقاط حكم الإخوان، لم يكن ذلك حبًا وكرامة، بل دعم الطرف الأقوى في المشهد المصري الذي يمكنه إقصاء أي منافس (ديني ـ سياسي) في المشهد الإقليمي، قد يناطح الهيمنة السعودية، أضف إلى ذلك مواجهة النفوذ والمد الإيراني المتزايد في المنطقة.

نتصور أن ثمة مؤشرات حدثت خلال الفترة الأخيرة، تدل على أن الهوة بين الدولتين تتسع وتتعمق، وأنهما مقبلتان على خريف سياسي، حتى وإن بدت قضية جزيرتي تيران وصنافير محاولة مصرية للإبقاء على العلاقة القوية مع الرياض!

يمكن القول إن مصر ليست في أحسن أحوالها، لكنها حتى وهي في أسوأ أوقاتها، تظل «لقمة كبيرة»، تعجز أي «معدة عربية» عن هضمها وابتلاعها، ولذلك نعتقد أنه لا عقوبة للمسيء أقسى من أن يراك قد أحسنت إلى غيره.. حتى لو كان إيران!

الثلاثاء: 01 نوفمبر 2016

تركيا.. اللهم لا شماتة!

«المسلسل» السياسي التركي، بكل تعقيداته واستقطاباته، لا يمكن التنبؤ بنهايته الدرامية خلال الأيام والأسابيع القليلة المقبلة، بعد فشل محاولة الانقلاب العسكري على السلطة الشرعية في تركيا!

اعتدنا خلال السنوات الماضية مشاهدة أعمال درامية تركية؛ طويلة ومملة؛ لكن المفاجأة أننا تابعنا «مسلسلاً» قصيرًا لم يستغرق بضع ساعات، حبست أنفاس العالم كله!

المحاولة الفاشلة التي حدثت أخيرًا، ليست سوى «فيلم هندي»، قام به مجموعة من العسكريين المغامرين بمستقبل بلادهم، المنفصلين عن حقائق الواقع السياسي.. مجموعة لا تتجاوز ألفي عنصر حاولت السيطرة على جيش «الرابع في العالم قوة وتجهيزًا» يبلغ قوامه نحو مليون جندي!

لعل أكثر المشاهد غرابة في هذا «المسلسل» أن يتولى جهاز المخابرات، والشرطة المدنية وعناصرها من القوات الخاصة، اعتقال ضباط الجيش المشاركين في الانقلاب، الذين كانوا

يقودونهم ويعتقلونهم من الشوارع مثل اللصوص، يرتدون بزاتهم العسكرية.

ظهور «أردوغان» عبر فيس تايم، دفع قطاعات كبيرة من الشعب إلى الخروج للشوارع دفاعًا عن «الشرعية»، أعقبه شماتة أظهرها كثير من الإعلاميين والصحافيين، عندما تناولوا خطاب الرئيس التركي عبر هاتف نقال، وليس عبر قناة رسمية، بنوع من الشماتة، باعتباره دليلاً على أنه فقد السيطرة على البلاد!

وفيما كان الإعلام العالمي يتحدث عن فوضى الأخبار في تركيا، محاولاً استقاء المعلومات الواردة من هناك، لمعرفة حقيقة ما يحدث، كانت بعض القنوات، في وادٍ آخر، يهللون لـ«نجاح» الانقلاب العسكري في تركيا، وهو ما ظهر جليًا في تعليقات الإعلاميين وضيوفهم على تلك القنوات، الذين أكدوا قرب حدوث حرب أهلية مرتقبة في تركيا .

ما يلفت الانتباه أنه مع الدقائق الأولى من انتشار خبر الانقلاب في تركيا وقبل أن تتضح الأمور، سارع عدد من الإعلاميين والصحافيين العرب بتهنئة قادة الانقلاب والشماتة في الرئيس التركي وحزبه الحاكم.

لقد سببت آثار هذا التسرع حرجًا بالغًا وقع فيه إعلاميون مخضرمون نتيجة سرعة فشل المحاولة الانقلابية، ما دفع بعضهم إلى اعتبار الحدث «تمثيلية» أراد بها أردوغان

كسب التعاطف لتحقيق السيطرة المطلقة على شعبه، ورفع شعبيته التي انهارت.

إذن، النتيجة فشل محاولة الانقلاب، لأنه لم يجد بيئة انقلابية لدى الجيش أو الشعب التركي، ووجد شجاعة من القادة السياسيين ومن قادة أحزاب المعارضة، الذين تخلوا عن خلافاتهم الشخصية مع النظام والحزب الحاكم والتفتوا إلى وطنهم ودولتهم وجيشهم ووقفوا صفًا واحدًا.

إن محاولة الانقلاب الفاشلة في تركيا، ستترك غموضًا كبيرًا إزاء مواجهة تنظيم الدولة، كما سيكون لها انعكاسات سلبية على أمريكا وحلفائها في المنطقة، خصوصًا أن أي واقع جديد يظهر في تركيا لن يكون جيدًا بالنسبة لحلف الناتو ومشكلة اللاجئين والملف السوري.

يبقى القول إن ما حدث في تركيا سيجعل أردوغان وحزبه الحاكم، على المحك، خصوصًا في ما سيقوم به من إجراءات ضد مناوئيه وخصومه، سواء أكان في مؤسسات الجيش والشرطة أو القضاء.

الثلاثاء: 19 يوليو 2016

كوكب اليابان الشقيق!!

سؤال يبحث عن إجابة منذ أكثر من ستة عقود.. لماذا أخفقنا، بينما نجح الآخرون، رغم أن حضارتنا سبقتهم بآلاف السنين، ولم ينهضوا إلا منذ ثلاثة قرون، وتحديدًا منذ سبعين عامًا فقط. فما الذي حدث ليتقدم المتخلفون، ويتأخر المتقدمون؟!

تبدو الإجابة صعبة، في ظل صعوبة معرفة أسباب تميز ونجاح الآخرين، والفشل الذريع الذي يلاحقنا، رغم وجود آلاف النماذج المهاجرة، التي نجحت وأسهمت في التقدم الحضاري الذي شهده العالم خلال العقود الماضية.

ربما لن نفاجأ بأننا متأخرون عن الآخرين بعشرات السنوات الضوئية، لأنهم يعتمدون حقوق المواطنة، والحريات «المسؤولة» كحق أصيل، ومعيار الكفاءة وفقًا لقواعد علمية صارمة، وتحقيق التوازن بين المصلحة الخاصة والعامة، وتبنِّي مبدأ القرار الجماعي، ووضع الرجل المناسب في المكان المناسب!!!

إنهم بكل أسف، يحققون النجاح الإنساني، وكل ما من شأنه الارتقاء بمنظومة التقدم والتطور، في مقابل عشوائية ممنهجة نُتقنها في المجالات كافة، حيث «الواسطة والمحسوبية»، و«توريث الوظائف»، وسيطرة الأفكار البالية والنظريات العقيمة التي عفا عليها الزمن!

بالتأكيد، نحن نمتلك حضارة عريقة، لكن حان الوقت لدراسة بعض التجارب الحديثة بشكل معمق، للحفاظ على الذات، والانفتاح الكامل على روح العصر وحضارته وثورته المعلوماتية، لذلك نعتقد أن تجربة «كوكب اليابان الشقيق» فيها الكثير من النجاحات التي يمكن أن تكون مثالاً يُحتذى.

نتحدث عن نهضة شاملة لبلد يفتقر إلى الحد الأدنى الضروري من المواد الخام، وتحديدًا النفط.. مساحته محدودة بالنسبة لعدد السكان، لكن الإنسان الياباني بإرادته وعلمه وعمله ومثابرته، استطاع تحقيق معجزة بكل المقاييس.

عندما نتأمل في مسيرة التطور السريع لتقدم اليابانيين، نجد أن هناك أسبابًا عديدة، نراها باعثة وكفيلة لنهضة أي أمة.. خصوصًا قدسية المنظومة التعليمية، والاهتمام المبالغ فيه بالطلاب الذين يمثلون مستقبل اليابان!

استوقفتني مؤخرًا قصة أو ملحمة ـ إن جاز التعبير ـ ليست مشهدًا في فيلم درامي، أو نسج خيال كاتب لرواية كلاسيكية.. تجعل ما يحدث في هذا الكوكب البعيد، أقرب إلى الخيال

منه إلى الحقيقة، ولذلك فإن مقولة «كوكب اليابان الشقيق» التي يرددها البعض ليست خيالية تمامًا، حيث يملك هذا البلد قصص نجاح حقيقية تكاد تكون من أساطير الأولين!

قصة صغيرة ما زالت حلقاتها مستمرة في جزيرة هوكايدو ـ أقصى شمال اليابان ـ التي توجد بها محطة قطارات بمنطقة نائية تسمى «كامي شيراتاكي».. هذه المحطة تعمل منذ سنوات من أجل طالبة واحدة فقط تدرس في الثانوية العامة، لتوصيلها إلى مدرستها وإعادتها مرة أخرى!

القطار يتوقف في المحطة مرة واحدة «صباحًا» خلال ذهاب الطالبة إلى المدرسة، وأخرى «مساء» لإعادتها إلى منزلها بعد انتهاء اليوم الدراسي.. وعلى رغم وجود أصوات تنادي بغلق المحطة لعدم جدواها اقتصاديًا أو وجود ركاب، إضافة إلى تكلفة التشغيل العالية، إلا أن إدارة السكك الحديدية رفضت الفكرة تمامًا، مؤكدة أهمية بقاء هذا القطار للحفاظ على المسيرة الدراسية للفتاة وعدم تعطيلها!!

المثير في الامر أن السلطات المختصة قامت بتعديل رحلات القطار خصيصًا لتناسب مواعيد اليوم الدراسي للطالبة، في ذهابها وإيابها، لتفادي أي تأخير قد يشتت تركيزها في مشوارها التعليمي!!

ربما لن نتعجب من تأكيد السلطات المختصة أنها تضمن للفتاة بقاء هذا القطار في خدمتها حتى انتهاء الدراسة

بالمرحلة الثانوية وحصولها على الشهادة.. ولذلك ليس مستغربًا أن تعلق الطالبة بالقول: «لماذا لا أموت وأضحي بنفسي من أجل بلادي.. عندما تكون الحكومة مستعدة للذهاب أميالًا إضافية من أجلي فقط»!!

الثلاثاء: 21 فبراير 2017

على خُطى «المعزول»

بعض الزعماء والقادة والساسة أثار انتخابهم حماسة وأملًا حول العالم، فيما تسبب آخرون في حبس الأنفاس ـ حيرةً وقلقًا وترقبًا ـ مثل الرئيس الأمريكي الجديد دونالد ترامب!

اعتلى ترامب سدة الحكم في الولايات المتحدة بعد حملة انتخابية «فضائحية» استمرت عامًا ونصف العام، نجح خلالها في استغلال قدراته الفائقة على الترهيب والمبالغة، وبراعته في التعامل مع وسائل الإعلام.

ولكن؛ بعد أقل من شهر على انتقاله إلى البيت الأبيض، نجد أن أعداد الرافضين والمتظاهرين تتزايد، والحشد ودعوات جمع التوقيعات تتصاعد، والهجوم الإعلامي ضده لم يتوقف لحظة واحدة!

استقالات بالجملة، وتحركات شعبية مناهضة، ورفض من قطاعات لا يستهان بها، حتى وصل الأمر إلى قرارات قضائية ترفض توصيات وقرارات ترامب، في ظل ترقب

أوروبـي ودولـي، باسـتثناء إيـران.. أمـا العـرب فقـد التزمـوا الصمـت والهـدوء والبيانـات المستأنسـة!

نتصـور أن قـرارات ترامـب الكارثيـة والمثـيرة للجـدل، لم تكن مفاجئـة أو مسـتغربة، فالرجـل لم يخـذل ناخبيـه ومؤيديـه، وقـام بتنفيـذ وعـوده الانتخابيـة الـتي رفعهـا خـلال حملتـه، ولم يتراجـع عنهـا بعـد فـوزه بالانتخابـات!

تلـك القـرارات الكارثيـة، مثـل حظـر سـفر مواطـني 7 دول «إسـلامية»، ونيتـه المعلنـة بنقـل سـفارة أمريـكا مـن تـل أبيـب إلى القـدس ـ في حـال تنفيذهـا ـ ستنذر بعواقـب كارثيـة لا يمكـن التنبـؤ بهـا، لأنهـا ستشـعل دورة العنـف وإراقـة الدمـاء، كمـا سـتوفر أرضيـة خصبـة لازدهـار كافـة أنـواع التطـرف بالمنطقـة.

إن عنصريـة وطائفيـة ترامـب الواضحـة، قد تمثل اسـتراتيجية سياسـية هدفهـا اسـتخدام خطـاب التخويـف والفـزع، لخلـق «عـدو» وهمـي يـبرر سياسـاته الهمجيـة، وتغذيـة مشـاعر الكراهيـة للأجانـب، باعتبـار أن ورقـة «الأمـن» هـي الرابحـة في أي صـراعٍ مـع الخصـوم!

لعـل تنديـد عشـرات النجـوم في هوليـوود والإعلاميـين ونجـوم المجتمـع، والتظاهـرات المتتاليـة لآلاف الأشـخاص، في ولايـات ومـدن أمريكيـة طـوال الأسـابيع الماضيـة، وهتافهـم «ترامـب ليس رئيسي»، يؤكد أن المجتمع الأمريكي ما زال ينبض بالحياة، ولن يضحـي بتراثـه التعـددي الـذي يحـاول الرئيس الجديد طمسـه!

قبل أيام بدأت حملة توقيعات على وثيقة شعبية عالمية، ضد قرارات وسياسات وخطابات الرئيس الأمريكي الجديد، ولكن رغم عدم جدواها، إلا أنها قد تدفع ترامب للسير على خطى توقيعات حملة «تمرد» في مصر، لسحب الثقة من الرئيس المعزول محمد مرسي، المحسوب على جماعة الإخوان!

نعتقد أن التناقض الواضح والتفرد وإقصاء الآخرين هما السمة المميزة لقرارات ترامب الأخيرة، خصوصًا ما يتعلق بقراري حظر السفر، وخطة توجيه ضربة قاضية إلى داعش في العراق وسوريا، ما يمكن اعتبار الأمر بمثابة هدية لجماعات التطرف والإرهاب!

أخيرًا.. إن استغلال ترامب بعض المخاوف من الإسلام لتحقيق مكاسب سياسية، من خلال التخلي عن المبادئ والقيم الإنسانية والديمقراطية، سيكون بمثابة بث الروح في الأيديولوجية الميتة والمتحللة لمرتكبي الجرائم الإرهابية.

الثلاثاء: 07 فبراير 2017

حياتنا

للمصري «ربٌّ» يحميه!!

قول الحق دائمًا يحتاج إلى شجاعة وصدق مع النفس، بدلًا من قلب الحقائق وصناعة الأوهام، لأنه لا يمكن تحقيق نهضة أو تنمية بمنأى عن المصارحة والمكاشفة والخروج من دائرة الدفاع العاطفي.

الفترة الأخيرة شهدت «عاصفة محمومة» من دول خليجية وعربية لإنهاء مفاجئ لعقود آلاف المصريين أو ترحيلهم من دون إبداء أسباب، ولكن؛ إن اعتبرنا ذلك شأن داخلي لكل دولة وحق أصيل وسيادي، إلا أنه دليل على تصاعد وتيرة إهدار كرامة المصريين في الخارج!

تحويلات المصريين في الخارج، الذين يتجاوز عددهم – ملايين ـ على أقل تقدير ـ مصدر دخل رئيس يتعدى بكثير الدخل الحالي لقناة السويس ـ القديمة والتفريعة الجديدة معًا ـ ولكن غالبًا ما يُنظر إليهم على أنهم «مجرد حصَّالة»، رغم ما يعانونه من تهميش وإهمال، منذ عقود، ولا أحد ينتبه إليهم، أو يتذكرهم، إلا وقت الحاجة، أو عند التحويلات الدولارية فقط!

لم يجد المصريون في »بلاد الغربة« مناصرًا أو معينًا، ضد »نهج« المكايدة والمراهقة السياسية لبعض الأنظمة العربية، التي تحاول »عبثًا« كسب مواقف سياسية عن طريق »قطع أرزاق« آلاف البسطاء، من دون مراعاة للكرامة الإنسانية، ظنًا منهم أن السكوت على ممارساتهم الفجة »علامة الرضا«!

بكل أسف، نسي أو تناسى هؤلاء العرب ما قدمته مصر على مدار تاريخهم »المنقوش على رمال متحركة«، ظنًا منهم أن ثرواتهم »المفاجئة« خالدة للأبد، معتمدين في ذلك على ذاكرةٍ سرعان ما تتآكل وتُصاب بآفة النسيان!

المصريون في الخارج، خلال السنوات الست الأخيرة، يتعرضون لمعاناة حقيقية، ويعيشون في قلق دائم وترقب مستمر، بانتظار »ترحيل مفاجئ« أو »إبعاد متوقع«، ما يجعل استقرارهم في هذه البلدان كسراب يحسبه الظمآن ماءً، وكابوسًا مزعجًا يقض مضاجعهم، ويعيق مساعيهم لاكتساب لقمة حلال في بلاد الله الواسعة!

لكن؛ يجب الاعتراف بأن كرامة المصري في الخارج تبدأ من الداخل، ونتحدث هنا عن مواطن لم يجد من يحنو عليه، في ظل الفساد والبطالة والفقر والغلاء المتوحش وانعدام العدالة الاجتماعية، أو أي أمل في نيل حقوقه المشروعة!

يجب الإقرار بأن ما يعانيه المصريون في الداخل من واقع بائس أليم، انعكس عليهم في الخارج، وأصبحت

النظرة إليهم من »محدثي الثروات« كأنهم فارِّين أو لاجئين أو مطرودين، وباتوا »وافدين من الدرجة الثانية«!

القضية تحتاج إلى وقفة حازمة وقوية لإنهاء ممارسات بعض الأنظمة العربية غير الإنسانية ضد العمالة المصرية، لأن الأمر تجاوز دور وزارتي الخارجية والقوى العاملة، اللتين لا يشغلهما كثيرًا كرامة المصريين في الخارج، التي أُهدرت على مدى عشرات السنين!

الثلاثاء: 13 ديسمبر 2016

مواطنون.. لكن «شرفاء»!

"المواطنون الشرفاء".. مصطلح أطلقه إعلاميون وصحفيون في السنوات الأخيرة على شريحة من المجتمع، مناوئة للمعارضين أو "الخارجين على النَّص"، أو أولئك الذين يغردون خارج السرب!

ما يؤسف له أن هذه الفئة التي تبدو على كثير منها، ملامح الفقر والعوز والجهل، تتخذ من "حب الوطن والقوات المسلحة والشرطة!" ذريعة لكيل الاتهامات والسباب والشتائم للمتظاهرين، وأحيانًا ينقضون بالاعتداء عليهم.

لكن ما يثير الشفقة والدهشة في آنٍ، أنهم دائمًا "تحت الطلب"، ويجوز لهم ما لا يجوز لغيرهم.. فهم مسموح لهم بالتظاهر والحشد، واستخدام مكبرات الصوت ورفع الأعلام والصور والرايات، تحت سمع وبصر أفراد الشرطة من دون أي تدخل منهم لمنعهم!

ظاهرة "المواطنون الشرفاء"، بدت واضحة بشدة، في محيط مبنى نقابة الصحفيين من الاتجاهين، خلال اجتماع الجمعية

العمومية لصحفيي مصر أخيرًا، حيث لاحظنا وجودهم رافعين صور الرئيس، يتراقصون على أنغام "المهرجانات"، في محاولة مكشوفة ومفضوحة لا تخفى على أحد!

ربما يكون هذا المشهد العبثي، المكرر والممل، كاشفًا لما يحدث عادة تجاه "غير الشرفاء"، الذين يدخلون في "صدام" مع بعض الأجهزة والمؤسسات، التي إن أخطأت أو تورطت في كارثة، يدفعون بـ"الشرفاء" لتصدر و"اقتحام" المشهد، والتستر باسم الرئيس والوطن وهيبة الدولة واستقرارها.. وتحيا مصر ويسقط "المتآمرون"؟!

بالعودة قليلاً إلى الوراء، ربما نتذكر أن فكرة "استئجار" هؤلاء "الشرفاء" أو الزج بهم للتحرش بالسياسيين أو الصحفيين أو المحامين.. أو غيرهم، ليست بالأمر الجديد، فقد تم استخدامهم من قبل الأنظمة السابقة المتعاقبة، وإن كان تحت مسميات مختلفة، خصوصًا أيام الانتخابات، ومواجهة اعتصامات النقابات والوقفات الاحتجاجية.

لكن الأمر تعدى وجود "مواطنون شرفاء" من البسطاء والأميين و"المحتاجين"، أو حتى البلطجية والمسجلين لدى أجهزة الشرطة والأمن، فأصبح هناك "مواطنون شرفاء" في كل مجال، يتم الدفع بهم - وقت الحاجة وعند اللزوم - لحلحلة أي تكتل وتفكيكه من الداخل وفرض واقع جديد على الأرض.

إن اللجوء إلى هؤلاء "الشرفاء" أو "الظرفاء" بممارساتهم العلنية الفاضحة، واستخدامهم بكثرة وإفراط، يعد خطأ سياسيًا فادحًا، وإفلاسًا وفشلاً ذريعًا، كما أن السكوت على "الأصابع" التي تحركهم، يمثل هوانًا للدولة بأجهزتها ومؤسساتها كافة.

الثلاثاء: 17 مايو 2016

عودة «المواطنين الشرفاء»!

لأول مرة في التاريخ، ومنذ تأسيس نقابة الصحفيين عام 1941، يصدر حكم قضائي بحبس النقيب والوكيل والسكرتير العام، على خلفية اتهامات بإيواء مطلوبين داخل مبنى النقابة.

لن نخوض في تفاصيل الحكم، كما لن نعلق على أحكام القضاء «وفقًا للقاعدة القانونية الشهيرة»، لأن الأمر لم ينته بعد، خصوصًا أن الحكم بالحبس ليس نهائيًا، ويمكن الاستئناف عليه بعد دفع الكفالة!

ما يدعو للأسف، هو أن قطاعات من الشعب باتت على عداء مع الصحفيين، منذ اشتعال الأزمة، عندما ألقي القبض على الصحفي عمرو بدر والمتدرب محمود السقا من داخل مقر النقابة، على خلفية مظاهرات «يوم الأرض» في 25 أبريل 2016، المناهضة لاتفاق جزيرتي تيران وصنافير!

القضية أحدثت موجة إدانات من حقوقيين وسياسيين ومنظمات «محليًا ودوليًا»، وأوجدت حالة غضب «لا يمكن تجاهلها» في أوساط الصحفيين، الذين سيستأنفون وقفاتهم

الاحتجاجيـة، وحشـدهم المتواصـل، دعمًـا لزملائهـم، ليعـود «سـلم النقابـة» إلى واجهـة الأحـداث مـرة أخـرى!

ليـس هـذا فحسـب كل مـا نتوقعـه، بـل سنشـهد تكـرارًا لمشـهد سـابق حـدث قبـل سـتة أشـهر، بمحيـط مقـر نقابـة الصحفيـين، لنـرى عـودة مظفـرة لـ«المواطنـين الشـرفاء»، الذيـن هـم دائمًـا «تحـت الطلـب».. يتظاهـرون ويتراقصـون علـى أنغـام «المهرجانات»، في محاولة مكشوفة ومفضوحة لا تخفى على أحد!

ربمـا يكـون هـذا المشـهد العبثـي «المكـرر والممـل»، كاشـفًا لمـا يحـدث عـادة تجـاه «غـير الشـرفاء»، الذيـن يدخلـون في «صـدام» مـع بعـض الأجهـزة والمؤسسـات، فيتـم الدفـع بـ«الشـرفاء»، لـ«تأديـب» هـؤلاء «المغضـوب عليهـم»، أو مـن «يغـردون خـارج السـرب» باعتبارهـم «خارجـين علـى النّـص»، مـن خـلال كيـل الاتهامـات والسـباب والشـتائم وأحيانًـا الاعتـداءات!

لعـل فكـرة «اسـتئجار» هـؤلاء «الشـرفاء» أو الـزج بهـم، للتحـرش بالأحـزاب والسياسـيين والصحفيـين والمحامـين.. وغيرهـم، ليسـت بالأمـر الجديـد، فقـد تم استخدامهم مـن قبـل الأنظمـة السـابقة المتعاقبـة، وإن كان تحـت مسـميات مختلفـة، خصوصًـا أيـام الانتخابـات، أو في مواجهـة اعتصامـات النقابـات والوقفـات الاحتجاجيـة.

نتصـور أن الأمـر يتعـدى فكـرة وجـود «مواطنـون شـرفاء» مـن البسـطاء والأميـين و«المحتاجـين»، أو حتـى البلطجيـة

والمسجلين لدى أجهزة الأمن، حيث أصبح لدينا «شرفاء» في كل مجال، يتم الدفع بهم عند اللزوم، لخلخلة أي تكتل وتفكيكه من الداخل، وفرض واقع جديد على الأرض.

إن اللجوء إلى هؤلاء «الشرفاء» أو «الظرفاء» بممارساتهم العلنية الفاضحة، واستخدامهم بكثرة وإفراط، يعد خطأ فادحًا، وإفلاسًا وفشلاً ذريعًا، كما أن السكوت على «الأصابع» التي تحركهم، يمثل هوانًا للدولة بأجهزتها ومؤسساتها كافة.

نعتقد أن الصورة الذهنية لما حدث، قد تتغير مع الوقت، وسيقل تأثيرها تدريجيًا بعد انتهاء تأثيرها الوقتي الراهن، وبعد الابتعاد عن الاحتقان والمشاعر الانفعالية التى تعبر عن الحب أو الكراهية، والإعجاب أو الازدراء، والانبهار أو الاحتقار.. لكن الأمر يبدو مختلفًا هذه المرة، خصوصًا مع الأسرة الصحفية!

الثلاثاء: 22 نوفمبر 2016

عزيزي المغترب: «ادفع بالتي هي أحسن»!

ما بين التأكيد الرسمي بعدم فرض أي ضرائب جديدة على المصريين بالخارج، والتوضيح بأن الأمر لا يعدو كونه إجراء تعديل يتضمن زيادة الرسوم فقط، يمكن القول إنه «استفزاز» غير مقبول أو مبرر!

ربما يُصور البعض، الأمر على أنه مبلغ زهيد و«تافه» بالنسبة للعاملين بالخارج، وأن هذا التعديل جاء متفقًا مع المادة 38 بالدستور، وأن الزيادة المقررة جاءت «متوازنة» حيث لم يتم تعديلها منذ ما يقرب من عشرين عامًا!

لكن الحقيقة أن الأمر يتجاوز تلك الزيادة، خصوصًا إذا علمنا أن تحويلات المصريين العاملين في الخارج أهم داعم للاحتياطي من النقد الأجنبي، لأنها تشكل المصدر الرئيس للعملة الصعبة للبلاد، التي تضررت فيها السياحة والاستثمارات الأجنبية والتصدير بفعل الأوضاع السياسية التي أعقبت ثورة يناير 2011.

ربما فات المشرِّعون والمسؤولون أن العاملين بالخارج

وعددهم قرابة العشرة ملايين، لا يستفيدون من أي دعم تقدمه الدولة، وأن المغترب يرفع عبء استهلاكه المحلي من الخبز والطاقة والغاز والصحة والطرق والمواصلات.. وغيرها، عن الدولة وميزانيتها العامة المتآكلة!

لم يشفع لهؤلاء المغتربين، أن كثيرًا منهم يصطحبون عائلاتهم، ويعلمون أبناءهم ويعالجونهم على نفقتهم الخاصة، بعيدًا عن المستشفيات والمدارس الحكومية، بل إن غالبيتهم تخلوا عن حقوقهم في المطالبة بتوفير وظائف، وقرروا السفر حتى لا يطول انتظارهم في طابور العاطلين!

بكل أسف، «المصريون في الخارج»، غالبًا ما يُنظر إليهم على أنهم «مجرد حصّالة»، رغم ما يعانونه من تهميش وإهمال، منذ عقود، ولا أحد ينتبه إليهم، إلا وقت الحاجة، أو عند التحويلات الدولارية فقط!

إن المصريين في الخارج لم يجدوا مناصرًا أو معينًا في أزمات عدة ـ واجهوها ولا يزالون ـ في «بلاد الغربة».. ومع كل أسف، لم يجدوا إلا الجفاء أو التجاهل والروتين والبيروقراطية العقيمة، والتجاهل والتعالي لكثير من المسؤولين في السفارات والقنصليات والبعثات الدبلوماسية والنوادي المصرية، خصوصًا بالعواصم العربية، التي يقتصر عملها فقط على المراسم والبروتوكولات والظهور الإعلامي في المناسبات، أو عند زيارة كبار المسؤولين!

نتصور أن النظرة إلى المصريين في الخارج لم تتغير، أو أنها في سبيلها للتغيير.. أضف إلى ذلك أنهم حاليًا ملاحقون بزيادات يدفعونها، رغم أن الدولة تستفيد منهم بكافة الأشكال، سواء أكانت في صورة تصاريح عمل أو سفر أو ضرائب وإجراءات وإجازات.. وغيرها!

نتساءل بصدق: أين كانت الدولة في السنوات الأخيرة عندما شهدت موجة كبيرة ومحمومة لإنهاء مفاجئ لعقود آلاف المصريين أو ترحيلهم من دون إبداء أسباب، أضف إلى ذلك الحوادث «الموثقة»، التي أودت بقتل ودهس وإهانة عدد من المصريين في عواصم عربية عدة، كانت دليلاً على تصاعد وتيرة إهدار كرامة المصريين في الخارج، وكأن قدرهم المحتوم أن يكونوا مواطنين من الدرجة الثالثة!

إن تحويلات المصريين بالخارج، مصدر دخل رئيسٍ يتعدى بكثير الدخل الحالي للسياحة وقناة السويس ـ القديمة والجديدة معًا ـ ورغم ذلك، «يدفعون» بين فترة وأخرى، فاتورة المراهقة السياسية لبعض الأنظمة الشقيقة، ولا يختلفون في ذلك عن «الجباية» التي تلاحق المطحونين في الداخل، خصوصًا في ظل الغلاء المتوحش وإقرار ضريبة القيمة المضافة على السلع، تحت شعار «ادفع بالتي هي أحسن»!

الثلاثاء: 30 أغسطس 2016

تجربة الأعوام الستة

أيام تفصلنا عن الذكرى السادسة لثورة **25** يناير، التي نعتبرها واحدة من أعظم الثورات في التاريخ الحديث، بكل ما تحمله الكلمة من معانٍ ودلالات.. شاء من شاء وأبى من أبى!

نتصور أنه لم يحن الوقت بعد، لتحليل ما حدث خلال الأعوام الستة الماضية، بشكل موضوعي ومحايد، والنظر من خارج زاوية »الإعلام الشعبي« المتقلب المزاج.. لأنه مع الوقت سينكشف المستور، وتُنتزع الأقنعة عن أصحاب المواقف البطولية المصطنعة!

رغم الصعوبات التي تواجهها البلاد منذ **25** يناير **2011**، وبواعث القلق التي تبدو للجميع، إلا أنه لا يوجد أمامنا أي خيار آخر سوى التمسك بالأمل، في استكمال حلم تحقيق العدالة والحرية والكرامة الإنسانية.

لقد شكّلت الثورة اختبارًا صعبًا للأحزاب والقوى السياسية والحركات الإسلامية، سواء تلك التي وصلت إلى السلطة أو التي فضَّلت البقاء في ما يسمى بمقاعد المعارضة، لكنهم

جميعًا ـ باعتقادنا ـ استنساخ وتطابق، كأنهم »ذرية بعضها من بعض"!!

كشفت تجربة الأعوام الستة الماضية فشل الجميع في الاستجابة للتغيرات المحلية والإقليمية والدولية، في ظل صعوبة تحويل الشعارات »الغوغائية والجوفاء« إلى واقع، خصوصًا في ظل عالم متغير، يسير باندفاع نحو الضبابية واللايقين!

كما كشفت التجربة أن ثمة فارقًا كبيرًا بين إدارة شؤون الحكم والمعارضة، في ظل ازدواجية الخطاب والممارسات، حيث لم تعد هناك قواعد ثابتة للسياسة، وإنما بات الأمر مفتوحًا على جميع الاحتمالات، بل ازداد الأمر صعوبة مع صعود شخصيات وتيارات راديكالية متطرفة شرقًا وغربًا!!

المحصلة إذن، ستة أعوام من اللامعقول، مليئة بالأسى والغُلب والقهر، و»حياة« مكبلة غائمة.. محاصَرَة بين تأميم الوعي وتكميم الصمت، ولم يعد هناك هوامش للمناورة أو حرية الرأي والفكر، وباتت السيطرة واضحة على وميض الحلم والأمل لدى الناس، لصالح التبرير الفج لانتهاكات الأدمغة وتأجيج ودغدغة المشاعر، واللعب على احتياج البسطاء.

ما وصلنا إليه بعد تلك الفترة، يعبر عن مشهد سياسي عبثي، قابع تحت أنقاض انهيار اقتصادي، وغلاء متوحش، وتضخم منتفخ، وفساد سرطاني، وبطالة متزايدة، وديون

تلاحق الأجيال القادمة، وعملة شاخت مبكرًا، ولم تعد تقوَ على الصمود أمام تيار التعويم!!

في ظل هذه الأجواء المتوترة والمشحونة بالغضب، لم يكن المشهد الاجتماعي والثقافي والديني والإعلامي، أفضل حالًا، بعد أن تصدره بعض المتسلقين المتحولين والجهلاء والأفاقين، ولذلك نجد صعوبة تحقيق أي تقدم أو تنمية، لأن الأمر سيكون أشبه بمن يحرث في البحر، ولا أمل يُرجى إلا في استفاقة تزيح هذا الكم الهائل من البلادة والنفاق.

ربما لا يمكن إغفال وجود متآمرين في الداخل والخارج، يتربصون بنا، ويتمنون لنا أن نظل مكبلين في مستنقع السقوط والفتنة، من خلال التحريض واستثارة وتهييج المشاعر، ووضعنا أمام خيارات مشبوهة.. لكن يبقى الرجاء في أن «الله خير حافظًا وهو أرحم الراحمين»!

الثلاثاء: 17 يناير 2017

25 يناير.. كلاكيت سادس مرة

تساؤلات عدة، لم تفارق الأذهان منذ ستة أعوام، لا تجد جوابًا شافيًا حتى الآن: هل حققت ثورة 25 يناير أهدافها، وما التغيير الذي حققته، وهل نحن بالفعل نمضي نحو الأفضل، أم أن الأسوأ لم يأتِ بعد.. وماذا يخبىء المستقبل القريب من مفاجآت على كافة الاتجاهات؟!

ماذا حدث؟.. لا أدري، تصيبني نوبة من الضحك كلما تذكرتُ تلك الحالة «الملائكية» التي كان الناس عليها في أعقاب ثورة 25 يناير 2011.. وجوه باسمة، طلاء الجدران والأرصفة، تنظيف الشوارع وتشجيرها، تأمين المنازل والشوارع، المحافظة على المرور والمساهمة في تنظيمه.. حملات هنا وهناك، وطاقة هائلة ورغبة جامحة في البناء والتطوير.. اختفت كل تلك المعالم تقريبًا، وأصبحت كلمة «الثورة» عند بعض «المؤلفة قلوبهم»، مرادفة للنكسة والوكسة والخيبة، ولم تعد تجدي نفعًا تلك المقارنات والمقاربات بين تلك اللحظات الخالدة التي مرت بنا، والتي ما لبثت أن تبخرت، وتحولت إلى طاقة سلبية هدامة!!

إن تجربة المصريين بعد ثورة يناير، جعلتهم يعيشون عصرًا بلا ملامح، حقبة تجمع بين الحرمان السياسي والاقتصادي، ولذلك فإن مشكلة محاولة إعادة كتابة التاريخ حاليًا، تبدو مرهقة للغاية، لأنه تاريخ قريب جدًا، لم يبرح الذاكرة بعد، خصوصًا أن شهوده ما زالوا أحياءً.

ستة أعوام، شهدت زخمًا استثنائيًا وأحداثًا جسامًا، ومتغيرات حادة، طالت كل مناحي الحياة، بل امتدت إلى طبيعة العلاقات المجتمعية بين الناس، في ظل ما يشهده المجتمع من حالة استقطاب مستفز.

أعوام مضطربة، شهدت ثلاثة رؤساء للجمهورية، وفترة انتقالية ملتبسة، مشحونة بأحداث دامية، واستقطابات سياسية أوصلت مصر إلى «**30** يونيو»، ثم «**3** يوليو **2013**، وكتابة الدستور مرتين!!

سنوات هي الأصعب في تاريخ البلاد، خصوصًا في ظل إرهاب يضرب كل مكان، وأزمات اقتصادية طاحنة، وبطالة وتضخم وغلاء، وشح معظم السلع الأساسية والأدوية، وانهيار الجنيه بعد تعويمه أمام الدلار!

ازدادت الديون الداخلية والخارجية، وانهارت السياحة، وتوقفت المصانع، وتآكلت الرقعة الزراعية، وانحدر مستوى الأخلاق والتربية والتعليم، وانخفض سقف الحريات، وشاع

الفساد في البر والبحر، ومشكلات لا تعد ولا تحصى.. استعصت على الحل!!

لم نعد في منأى عن تأثيرات الحروب الدائرة بالوكالة في سوريا والعراق وليبيا، والملفات الشائكة في فلسطين والسودان، وأزمة مياه قادمة على الأبواب بسبب سد النهضة، قد تهلك الحرث والنسل!!

ما نستخلصه من تلك الفترة هو استبعاد التفكير فى إمكانية العودة بالزمن إلى الماضي، لأن التاريخ قد يتشابه، لكنه لا يعرف التكرار على طريقة «كلاكيت سادس مرة»، أضف إلى ذلك الافتقار إلى الرؤية والهدف الواضح، بعد أن ثبت خطورة الرهانات الخاطئة!

الجميع «بلا استثناء» وقعوا فى الخطأ.. كثيرون مارسوا الخداع، وقليلون تمسكوا بالحكمة، أما النخب السياسية والإعلامية، التي اعتلت «أكتاف الثورة»، فقد وقعت في أخطاء كارثية لا يمكن إغفالها، لكن.. رغم ما نعيشه من حالة فوضوية عبثية، ستبقى «**25** يناير» في وجدان الشعب المصري رمزًا لحلم العيش والحرية والعدالة الاجتماعية والكرامة الإنسانية، والذي حتمًا سيتحقق.

الثلاثاء: 24 يناير 2017

«المغيَّبون» في نعيم!!

الحادي عشر من نوفمبر، أو «**11/11**»، يوم كغيره من الأيام.. مرَّ هادئًا بشكل اعتيادي، ولم نرَ فيه تلك الحشود الهادرة، تلبية للدعوة «المجهولة والغامضة» لما سُمي بـ«ثورة الغلابة» أو «انتفاضة الفقراء»، التي لم تكن سوى مجرد «شو» على مواقع التواصل الاجتماعي!

تلك الدعوة لم تجد قبولًا بين الناس، أو في الشارع السياسي ـ خلال الأيام والأسابيع التي سبقتها ـ كما لم تجد أي تفاعل أو صدىً، أو حتى مجرد تقبل للفكرة، التي «ولدت ميتة»، رغم وجاهة ومنطقية الأسباب المطروحة!

«ثورة الغلابة»، ذكرتني بما حدث في **28** نوفمبر **2014**، عندما فشلت الجبهة السلفية ومؤيدوها ومناصروها في حشد الناس لـ«رفع المصاحف» في «معركة الهوية»، في تكرار لمشهد «الخديعة الكبرى»، بين الإمام عليّ ومعاوية!

لا نستطيع إنكار أننا نحتاج بالفعل إلى «ثورة مجتمعية» ضد الظلم والقمع والفساد والتفاوت الطبقي والغلاء

والفقر والبطالة، تضع حلولاً عاجلة لمشاكلنا الاجتماعية والاقتصادية، بدءًا بسعر صرف الجنيه، ولا تنتهي عند شُحِّ معظم السلع الأساسية!

ربما يجب الإقرار بوجود حالة من الغليان والاحتقان، ناجمة عن غضب شعبي عارم، أفرزته قرارات اقتصادية غبية، «نكّدت» على الفقراء، و«نغّصت» حياتهم بشكل أكبر مما يتخيله كثيرون من حملة المباخر والمطبلين والأفاقين والمتملقين!

الواقع الأليم الذي نعيشه، لا ينكره إلا هؤلاء الذين ختم الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم، ولكننا في المقابل نتصور أن من يريد القيام بثورة «شعبية» لن ينتظر دعوة من أحد، أو تحديد تاريخ مسبق، فالجماهير «الواعية» ـ متى أرادت ـ تستطيع أن تفرض إرادتها على الجميع في اللحظة الفاصلة.

إن «ثورة الفنكوش» التي يقودها مجموعة من ناشطي «السوشيال ميديا»، لا يمكن لها أن تكتمل أو يُكتب لها النجاح، لأن الداعين إليها ليسوا سوى مجموعة من المغيبين الواهمين، الذين يعيشون خارج الواقع، إلا إذا كنا نريد القفز في المجهول لإبهار العالم في القيام بثورة كل ثلاثة أعوام!

نعتقد أن جزءًا كبيرًا من المجتمع لا تحركه «السوشيال ميديا»، ولا علاقة له بنشطاء «فيسبوك»، كما أن الساحة السياسية ليس فيها أي كيان، أو شخصية لها ثقل،

تستطيع الحشد، لأن المجتمع منقسم على نفسه، حتى وإن بدا ظاهريًا غير ذلك!

لا يوجد شيء اسمه حركة غلابة داخل مصر، فالغالبية العظمى بالفعل تعيش تحت خط الفقر بمراحل، ولذلك يجب على الداعين للحشد والنزول، أن يكونوا في صدارة المشهد، وفي مقدمة الصفوف، لا أن يجلسوا في بيوتهم «أون لاين»، أو على المقاهي في انتظار الفرج، لعل الله يحدث أمرًا!

لقد فشلت تلك الدعوة كما ستفشل غيرها مستقبلًا، لانعدام الثقة في «الطرف المجهول» الذي دعا إليها، والطرف الذي استغلها لتوجيه اتهاماته للشماعة المعتادة، ما دفع بالكثيرين - استنادًا لتجاربهم السابقة - إلى التزام بيوتهم للراحة في يوم الإجازة!

أخيرًا.. إذا الشعب يومًا أراد «الثورة»، فلا بد أن يستجيب القدر، ولذلك فإن إشعال ثورة جديدة، لا يعتمد فقط على ركوب موجة الانتقادات، أو استخدام الاحتجاجات الصامتة على الأوضاع المعيشية المتردية، بل على إرادة الناس واختياراتها!

الثلاثاء: 15 نوفمبر 2016

«11/11».. ومعجزات «أهل الشر»

الحـادي عشـر مـن نوفمـبر، أو «11/11»، يـوم كغـيره مـن الأيـامٍ.. لا نعتقـد أنـه سـيحمل جديـدًا، أو أنـه سيشـهد تحـولًا وتبـدلًا في المشـهد المصـري، بعـد الدعـوة لمـا يُسـمى بـ«ثـورة الغلابـة»، إلا إذا كان الأمـر يتعلـق بريـادة المصريـين في إبهـار العـالم بقيامهـم بـ«ثـورة» كل ثلاثـة أعـوام! !

نتوقـع أن يمـر يـوم «11/11» بشـكل اعتيـادي، ولـن نـرى «انتفاضـة» شـعبية، للقيـام بـ«ثـورة جيـاع»، علـى طريقـة فيلـم «هـي فوضـى»، كمـا لـن تتحقـق نبـوءة أكثـر «المتفائلـين» بتغـير الخارطـة السياسـية.. وبالتالـي سـيظل الوضـع كمـا هـو، وإن كان يحمـل بعـض القلـق، الـذي يمكـن أن يتبـدد ببعـض التصريحـات ومسـكنات التهدئـة!

نتصـور أنـه لا يمكـن إنـكار تصاعـد السـخط الشـعبي بـين المصريـين نتيجـة لتزايـد الأزمـات الاقتصادية، الـتي شملت نقص مـواد الغـذاء علـى نطـاق واسـع، مـع زيـادة معـدلات التضخـم والفقـر، والبطالـة بـين الشـباب، وتضاؤل ثقة المسـتثمرين في المناخ الاقتصـادي، رغـم مليـارات الخليـج وقـرض صنـدوق النقـد! !

ما نراه الآن هو مشهد عبثي، يتصدره الإحباط واليأس المتصاعدان من كل ركن في المجتمع، ولذلك نتصور أن الاضطرابات الاقتصادية لم تؤثر على الفقراء فقط، بل امتدت إلى الطبقة الوسطى، والأثرياء أيضًا إلى حد ما!!

إننا بالفعل نمر بمرحلة حرجة للغاية، بسبب سوء إدارة الاقتصاد، والإخفاق في مواجهة التفاوت الاجتماعي، والفشل في ضبط الأسعار، و«التحرش» بالفقراء، من خلال اتخاذ تدابير وإجراءات تقشفية صارمة ستجعل حياة المصريين أكثر صعوبة خلال الفترة المقبلة!!

الأمر خطير، يتجاوز دعوة بعض «النشطاء» إلى تظاهرات احتجاجًا على تدهور الأوضاع الاقتصادية، كما يتجاوز تحميل «أهل الشر» مسئولية ما يحدث، لأنه بالفعل لا يمكن إنكار وجود غليان واحتقان شعبي، وغضب ممتد لقطاعات كبيرة ومؤثرة في المجتمع!!

المؤسف، هو وجود نفاق مبتذل من بعض النُّخَب السياسية والاقتصادية، ومزايدات رخيصة من معظم الإعلاميين، لتحميل «أهل الشر» مسئولية كل ما يحدث من أزمات في المجتمع، وتبرير الواقع البائس بهذه «الشماعة» التي أصبحت نكتة سخيفة معادة لآلاف المرات!!

لقد وصل الاستخفاف بعقولنا إلى أن «أهل الشر» وراء خسارة «الزمالك» بطولة دوري أبطال أفريقيا أمام «صن

داونـز»، وأنهـم وراء تفاقـم أزمـة الـدولار في مصـر، وبلـوغ سعره في السـوق الموازيـة أكثـر مـن **15** جنيهًـا ! !

«ارحمـوا عقولنـا».. فالأمـر ببسـاطة يتجـاوز قـدرات «أهـل الشـر»، في نشـر «المنـاخ التشـاؤمي» وتأسـيس تنظيـم «التـوك تـوك» و«الخليـة السـكرية».. لأنهـم لـو كانـوا يملكـون تلـك الإمكانـات لاسـتغلوها بالبقـاء في الحكـم إلى أن يشـاء اللّه، ومـا اسـتطاع أحـد أن يزحزحهـم قيـد أنملـة ! !

لا يمكـن أن يظـل المواطـن البسـيط «وحـده فقـط!» هـو المطالـب دائمًـا بالصبر والتحمـل وتسـديد فواتـير العجـز والفشـل والإخفاقـات المتتاليـة، كمـا لا يمكـن تغييـب عقلـه، الـذي لم يعـد يحتمـل معجـزات «أهـل الشـر» وقدراتهـم الخارقـة في افتعـال الأزمـات المعيشـية، والكـوارث الاقتصاديـة وتأجيـج السـخط الجماهـيري.. ارحمونـا ! !

الثلاثاء: 25 أكتوبر 2016

التسريبات.. ثقافة جيل

القرار الأخير لوزارة التربية والتعليم بإلغاء امتحان الديناميكا، وتأجيل باقي امتحانات الثانوية العامة، وتعديل المواعيد، وإحالة المتسببين في التسريبات للنيابة، أعقبه غضب طلابي عارم لم يسبق له مثيل!

الأمر أصبح قضية رأي عام، بعد قرار إحالة وقائع تسريب الامتحانات إلى نيابة أمن الدولة العليا، للتحقيق فيها، نظرًا لخطورة تداعيات وقائع التسريبات، ومساس ذلك بالمصالح العليا للدولة.

تسريب الامتحانات أصبح حقيقة مؤكدة، فلم يكن وهمًا أو زعمًا لمسؤولي التعليم، الذين أكدوا أننا أمام مأساة مجتمعية تضر بسمعة الأمن القومي، في مشهد عبثي، لم تعهده مصر في العصر الحديث، بتحقيق العلامة الكاملة في الفشل الذريع لإدارة امتحانات الثانوية العامة، وتحقيق أدنى درجات تكافؤ الفرص في الحفاظ على سرية أسئلة الامتحانات قبل انعقاد اللجان.

علـى رغـم تطـور وسـائل الغـش والتسـريب، إلا أنـه للمـرة الأولى يتـم تسـريب الامتحانـات قبـل بدايتهـا.. ومنـذ الأيـام الأولى للتسـريبات، توالـت البيانـات الرسميـة بالقبـض علـى المسـؤولين عـن ذلـك، وأعلنـت وزارة الداخليـة القبـض علـى «شـاومينج»، ووالـد أدمـن صفحـة «بالغـش اتجمعنـا»، اللذيـن يُعتقـد أنهمـا المسـؤولان عـن التسـريبات، إلا أنـه تم التكذيـب الفـوري مـن قِبـل المسـربين الحقيقيـين، وذلـك بالـرد عـن تلـك الادعـاءات "عمليًـا" بتسـريب بقيـة الامتحانـات!

كالعـادة، لم تغـب شماعـة «الإخـوان» عـن تلـك الأحـداث، بعـد اتهـام عـدد مـن نـواب البرلمـان، «كتائـب التنظيـم» الإلكترونيـة، أنهـا تقـف وراء مـا حـدث ويحـدث، في محاولـة بائسـة مـن «الجماعـة» لتصديـر المشـاكل في المجتمـع، خصوصًـا مـا يتعلـق بالعمليـة التعليميـة!

مـن خـلال رصـد ومتابعـة مـا يحـدث، خـلال الأسـابيع الماضيـة، ومنـذ اليـوم الأول للتسـريبات، يجـب التسـليم بفشـل منظومـة التعليـم بكاملهـا، مـع ضـرورة إيجـاد حلـول عمليـة مـن خـارج الصنـدوق، باتبـاع أسـاليب جديـدة في نظـام الامتحانـات، والتنسـيق لدخـول الكليـات، وتطويـر المناهـج الرقميـة، وإلغـاء الاعتمـاد علـى الورق، وتفعيل القدرات العقليـة والذهنية والإبداع.

لقـد أثبتـت تسـريبات الامتحانـات الفشـل الذريـع والمحقـق في التعامـل مـع الأزمـات، لأننـا بصـدد سلسـلة مـن الجرائـم

اللاحقة المترتبة على الغش، وانعكاس ذلك على المنظومة التربوية والتعليمية والأخلاقية.

بكل أسف، يمكن القول إن هذه التسريبات سوف تسهم في خلق وتنشئة جيل جديد لا يُرجى منه خيرًا.. جيل بعيد تمامًا عن أي مسؤولية، أو عن أي فكر ومعرفة.. جيل يعتمد على الغش في كل حياته اليومية، وهو ما سيؤثر سلبًا بكل تأكيد على مستقبل الوطن.

الثلاثاء: 28 يونيو 2016

دينا

تأميم الدين!

في ظل ضعف وتراجع واضحَيْن للمؤسسة الدينية، وانعدام وجود حقيقي وملموس للعلماء.. يمكن القول إننا نعيش أجواءً مليئة بالضبابية، ما بين تردد في العودة للهوية الأصلية وإصلاح الفكر، أو الارتماء في أحضان الحداثة والتجديد ببريقهما الأخَّاذ!

مع الأسف.. أجدني غير مستوعب لهذه الحالة الصادمة والمتناقضة، لما آلت إليه أمور الفتوى والقائمين عليها، بعد أن أصبحت مستباحة من دون ضوابط، ما يجعلنا نشعر بالأسف والأسى على «هيبة» الفتوى، وكأن هؤلاء الذين يتصدون لها، لم يقرؤوا يومًا حديث «أجرؤكم على الفتوى أجرؤكم على النار»!

لقد أصبحنا بالفعل، نعيش زمنًا جاهلاً و«عقيمًا»، لم تعد فيه الفتاوى مقصورة أو حكرًا على «رجال الدين»، بل باتت «ساحة اجتهاد» للفنانين والصحفيين، وقبلهم السياسيون، ما جعل «العلماء والشيوخ» يتخلون عن دورهم، فنراهم

يشتغلون بالإعلام وأحيانًا بالسياسة ـ بحسب الطلب ! !

الأيام الفائتة شهدت جدلًا على نطاق واسع لم تتوقف تبعاته حتى الآن، بعد بيان هيئة كبار العلماء في الأزهر، برفض دعوات وأصوات تنادي بمنع الطلاق الشفوي، بحجة أنها تخالف ما استقرت عليه الأمة منذ عهد الرسول الأعظم محمد!

ورغم إصرار الهيئة، وتأييد مجمع البحوث الإسلامية، على شرعية الطلاق شفويًا، على اعتبار أن طرح هذا الأمر مخالفًا للأصول الشرعية، إلا أننا نرى أنه لم يراعِ مقتضيات «فقه الواقع» وما يستلزمه من إنزال الحكم الشرعي على تطور إيقاع الحياة!

نتصور أن الفتاوى الجامدة قد تؤدي إلى زهد الناس فيها، بسبب عدم مواءمتها لظروف العصر، وعدم استجابتها لمستجداته، ولذلك ربما يمكن اعتبار البيان الأخير للأزهر، دعوة للجمود ومنع أي اجتهادات، خصوصًا أنه لم يقدم أدلة عقلية أو نقلية.. فقط «أمر ثابت بإجماع الفقهاء وما استقر عليه المسلمون» ! !

إننا أمام واقع صعب ومرير يتعلق بالفتاوى وتعدد الجهات والأشخاص المعنيين بإصدارها، وكذلك غلق باب الاجتهاد، مما يثير البلبلة وإحداث نوع من النفور والتهكم والسخرية، حول «تجديد الخطاب الديني»، الذي أصبح

كلمة تلوكها الألسنة، خصوصًا من بعض الجهلاء ومدَّعي الثقافة والفكر، حتى أصبحت مقولة حق أريد بها باطل!

بالتأكيد، نحن لا نؤيد ما يحدث من حملة مسعورة لتشويه الرموز الدينية أو تجريف وتجفيف منابع التدين، كما أننا ضد تأميم «الدين» والعبث في ثوابت وتراث الأمة، والطعن في عقيدتها وشريعتها الإسلامية.. لكننا قطعًا نرفض إلغاء إعمال الفكر والعقل، أو الحض على الإبداع والخروج من دائرة الجمود!

الثلاثاء: 14 فبراير 2017

«نشرة» الجمعة

بعد عامين من تجربة تعميم خطبة الجمعة الموحدة على جميع مساجد الجمهورية، التي أقرَّتها وزارة الأوقاف، منتصف يوليو 2013 ـ عقب الإطاحة بحكم الإخوان، لمواجهة «التطرف والإرهاب» المحتمل ـ بشَّرنا وزير الأوقاف قبل أيام، بتعميم الخطبة المكتوبة وتشكيل «لجنة علمية» لإعداد مواضيع الخطبة بشكل يتناسب مع «روح العصر»!

«الأوقاف» أعلنت للجميع، أنه «لا تراجع ولا استسلام» والمضي قدمًا في تنفيذ قرارها «المواكب للحداثة وتجديد الخطاب الديني» ـ بالرغم من اعتراض الأزهر «على استحياء» ـ حيث اكتشفت «الوزارة» فجأة أن «الفكر» يحتاج إلى تطوير، وأن بعض الخطباء على المنبر يُخالفون السُّنَّة، بالإطالة والتطرق إلى مواضيع متناثرة، تُربك المستمع وتُشتت ذهنه، إضافة إلى الدخول في أمور سياسية لا علاقة لها بمضمون خطبة الجمعة!

إن تعميم موضوع الخطبة المكتوبة على أئمة المساجد ـ باعتقادنا ـ سيحولهم إلى قارئي نشرات دينية أسبوعية، كما

أن هـذا التطبيـق يُغلـق بـاب التفكـير والإبـداع والتجديـد، لأن الأئمـة لـن يكونـوا في حاجـة إلى القـراءة والاطـلاع، بانتظـار النشـرة الأسـبوعية!

لعـل طـرح مثـل هـذه المواضيـع في هـذا الوقـت تحديـدًا، يثـير لغطًـا وجـدلًا واسـعًا، لأنه لا حاجـة لإثارتها بالأسـاس، خصوصًا أنهـا تفتـح بابًـا مـن الشـطحات الفكريـة والانقسـام، كمـا أنـه ليـس بالخطبـة المكتوبـة وحدهـا يتم «تجديـد الخطـاب الديني»!

نعتقـد أن «الدعـوة» ليسـت مجـرد خطبـة جمعـة، ولا يمكـن اختزالهـا في هـذا الأمـر، ولذلـك يجـب ترك مسـاحة للإمـام لكي يُبـدع ويبتكـر في إلقاء الخطبـة، لأنـه مـن غـير المعقـول أو المقبول أن تُكتـب لـه ورقـة «تعليمـات وإرشـادات» ليقـرأ منهـا فقـط!

إن الخطبـة الموحـدة أو المكتوبـة لـن تـؤدي إلى تطويـر أو تحديـث الخطـاب الدعـوي، أو مسـتوى الدعـاة، بـل سـتؤدي إلى تراجـع مسـتواهم العلمـي والفكـري، خصوصًـا أن الخطبـة الموحـدة قـد تصلـح لمناسـبة بعينهـا أو في وقـت معـين.

مـا يدعـو للتأمـل هـو أن وزارة الأوقـاف تطلـب في مسـابقاتها لتعيـين الدعـاة أن يكونـوا علـى درجـة علميـة عاليـة، وحاصلـين علـى درجـة الماجسـتير، وهنـا نتسـاءل: «كيـف ذلـك، وهـي تريـد أن تفـرض عليهـم خطبـة موحـدة يمكـن لأي شـخص، بـأي مسـتوى تعليمـي أن يقرأهـا»؟

إننا نعيش مرحلة دقيقة، تحتاج بالفعل إلى «ثورة دينية حقيقية»، بما تتطلبه من تميز للأئمة وفهمهم المستنير وحسهم الوطني وإدراكهم لما تتطلبه المرحلة الراهنة من توحيد الجهد والكلمة في مواجهة التحديات، ولكن هل تحقق الخطبة المكتوبة الموحدة هذا التوجه؟!

نعتقد أنه لا يمكن القبول بتشجيع الجمود والجهل والروتين العقيم، وبدلًا من فتح باب الاجتهاد، نفتح بوابة كبيرة للتملق والنفاق والمجاملة، أو الخضوع والإذعان، ليكون الجميع «تحت السيطرة»!

قرارات «الأوقاف» الأخيرة، تفتح الباب على مصراعيه مستقبلًا لأمور أخرى، قد تقضي على الاجتهاد والتنوع والانفتاح على الآخر، كما أنه ربما يستتبعها قرارات أخرى مستقبلًا على شاكلة مركزية الخطبة وبثها من ماسبيرو لجموع المصلين عبر شاشات التلفاز الرسمي، مستندة على فتوى تبيح الصلاة في المنزل خلف قارئ نشرة الجمعة!

الثلاثاء: 02 أغسطس 2016

«طريق الهداية».. السينمائي

العلماء الحقيقيون لطالما كانت العزة من شيمهم وأخلاقهم، والتواضع تاجًا يُزَيِّن رؤوسهم.. يعتزون بالمُصلحين، يُقِرُّون بفضلهم، ويقدرون مواقفهم.. يتخيرون من آرائهم، ولا ينحازون لفكرهم.

هؤلاء يُنصفون غيرهم من أنفسهم.. يقفون عند حدود علمهم لا يتجاوزنه، ولا يتدخلون فيما ليس من اختصاصهم.. إنهم المتواضعون الذين يدركون أن بضاعتهم في العلم قليلة مهما زادت، وبسيطة مهما عظمت.

الآن.. نعيش في مستنقع "البهتان"، بعد أن ابتلينا بمن يسمون "الدعاة الجدد"، الذين "طفحوا" على السطح منذ عقدين، وتصدروا المشهد الديني، رغم أن عددًا منهم لا يستحقون أن يكونوا أنصاف علماء!

ربما "اشتباك" أحد "الدعاة الجدد" ـ الذي لا يستهويني كغيره ـ هو ما حفزني على الكتابة عن هذه الظاهرة، بعد

إعلانـه عـن مشاركته في إنتـاج فيلـم سـينمائي، شـارك أخـيرًا في مهرجـان "كان" السـينمائي بدورتـه الـ**69**.

قـد يكـون "سـوق الدعـوة" الآن، كغـيره مـن المجـالات، يمـر بفـترة كسـاد، مـا يجعلنـا نتوقـع أن نشـاهد بعـض هـؤلاء "التجـار" يتحولـون إلى مجـالات أخـرى، لتحقيـق الأربـاح، بعـد أن مُـنَي بعضهـم بنزيـف خسـائر لم يتوقـف منـذ سـنوات.

أزعـم أنـني لسـتُ واحـدًا مـن متابعيهـم، أو المتأثريـن بخطاباتهـم الدعويـة، في برامجهـم التلفزيونيـة، الـتي أراهـا نمطًـا مكـررًا لمشـاهد سـينمائية توضـع حشـوًا في الأفـلام الهابطـة لضمـان شـباك التذاكـر "كامـل العـدد".

بعـض هـؤلاء نجد "بضاعتهـم"، الاسـتخفاف بالديـن والإفراط فيـه، وسـرد بعـض القصـص واللجـوء للتشـويق والإثـارة والتفـاؤل والترغيـب بالرحمـة والمغفـرة والميـل إلى المـزاح والنـكات، علـى طريقـة "الجمهـور عـاوز كـده"!

قـد يلجـأ بعضهـم إلى صنـع هالـة حولـه، أو "شـو إعلامـي" يحيـط بـه، أو ربمـا يكـون "سـتايل" الملابـس الغريـب، مدخـلًا إلى قلـوب المتلقـين، أضـف إلى ذلك اسـتخدام كلمـات و"إفيهـات" قـد تُطـرب الآذان.

"الطريـق الصـح"، "طريـق الهدايـة"، "مجـددون".. وغيرهـا مـن "الطـرق" أو البرامـج التلفزيونيـة الـتي لا حصـر لهـا ـ خصوصًـا أننـا علـى أبـواب شـهر رمضـان المبـارك ـ لم يعـد لهـا

بريق كما كانت في السابق، أو زخم يجتذب الناس، حتى لو كان بعض هؤلاء "الدعاة الجدد" يحمل في يديه "وردة" كل حلقة!

إننا لا نستبعد في المستقبل القريب أن يلجأ المنتجون والقائمون على البرامج "الدينية"، إلى استحداث أفكار مبتكرة، للترويج لهؤلاء، من خلال إضفاء الصبغة "الإسلامية" على البرامج "الترفيهية"، فنتابع "ستار إسلامي" كأحد برامج تلفزيون الواقع!

الثلاثاء: 30 مايو 2016

المُنَظِّرون.. وخفافيش الظلام

ما تعرض له أشقاؤنا المصريون الأقباط في سيناء مؤخرًا، من نزوح جماعي، على خلفية حوادث مؤسفة لسبعة منهم خلال ثلاثة أسابيع، هو مشهد عبثي، يُعيد إلى الذاكرة نزوح أهالي القناة بعد العدوان الصهيوني على مصر في العام **1967**.

مشهد مؤسف ومخجل، أن ترى أشقاء الوطن في حال يُرثى لها، وهم يشعرون بالخوف والذعر.. مجبَرين على ترك بيوتهم بملابسهم فقط، وبعض المستلزمات الشخصية، هربًا من القتل والترويع، وفرارًا من جحيم مستعر، يستهدفهم مع ممتلكاتهم على أيدي العناصر التكفيرية الإرهابية.

إن بشاعة الاعتداء ضد الإخوة المسيحيين في شمال سيناء، واستهدفت أرواح الأبرياء الآمنين وممتلكاتهم، جريمة في حق المصريين جميعًا، لأن مثل هذه الأعمال الإرهابية الجبانة، تستهدف وحدة الشعب وزعزعة الأمن والاستقرار، فما حدث مؤخرًا يرتقي إلى مستوى الغرابة، واللامنطقية، والكوارث، والمأساة غير المسبوقة، إذ كيف لعقل أن يتقبل ما يجري بهذه الصور البشعة والمرعبة والصادمة؟.. ولذلك

حان الوقت لوأد كافة مخططات هذه التنظيمات الهمجية لترويع أبناء الوطن الآمنين وتهديد ممتلكاتهم.

إن هذه الأفعال الإجرامية لا تقوم بها إلا فئة باغية استحلت الأنفس التي حرمها الله، بعد أن تجردت من الإنسانية، وكفرت بالتعاليم السمحة التي نادت بها جميع الأديان.. بل عن كافة القيم والأعراف والمبادئ الأخلاقية.

يجب الإقرار بأن القضاء على الإرهاب يحتاج إلى وقت وجهد إضافيين، ولن يتم في يوم وليلة، ولذلك نعتقد أن الحلول العسكرية والأمنية، ضرورية ومطلوبة، لكنها تظل مرتبطة بوضع خطط حقيقية لتعمير وتنمية سيناء، لإنهاء وجود جماعات الظلام، وخلق بُعد اجتماعي واقتصادي وسياسي جديد.

«تعمير وتنمية سيناء»، كان على الدوام، حلمًا يداعب عقول وقلوب المصريين، فلم تنسَ الذاكرة المشروع العملاق الذي بدأ في عهد حكومة الجنزوري عام **1994**، وتوقف لأسباب غامضة بعد **3** سنوات، ولذلك فإن خطط التنمية التي تم وضعها لأرض الفيروز، خلال عقود، لم تتحقق، بسبب غياب الإرادة السياسية، أو لغياب الأمن بشكل كبير، أضف إلى ذلك عدم وجود بنية تحتية تحقق التنمية المستدامة.

نتصور أن الإرهاب في سيناء يحتاج في مواجهته إلى وقت طويل واستراتيجية مختلفة، ولذلك فإننا نختلف مع بعض الفلاسفة والمنظِّرين الذين تعالت أصواتهم بـ«التهجير

والإخلاء»، لأنه قد يخلق مشكلة إنسانية واجتماعية، ستكون باهظة التكلفة.

إن شبه جزيرة سيناء تمثل العمق الاستراتيجي لمصر، بما لها من موقع فريد، وما تحويه من ثروات طبيعية ومزايا اقتصادية وسياحية لا مثيل لها في العالم، تُركت أو تم تجاهلها على مدى عقود، على رغم تمتعها بمناخ جاذب للاستثمارات، زراعيًا وصناعيًا وسياحيًا.

يمكننا القول إن الحلول الناجعة لعلل وأمراض الوطن على مدى عقود، تكمن في الاستغلال الأمثل لثروات سيناء بشكل صحيح، والتي ستسهم في حل مشكلة الزيادة السكانية، وارتفاع معدلات البطالة، وتوفير الغذاء، وخلق مجتمعات عمرانية جديدة.

إن التنمية الشاملة ومضاعفة الكتلة السكانية فى سيناء تشكلان خط الدفاع الرئيس في مواجهة أي عدوان صهيوني، أو مواجهة قوى التطرف والعنف والإرهاب، ولذلك فإن الاهتمام بسيناء يرتبط بأهمية تحصينها بالتنمية كآلية للدفاع الاستراتيجي عنها وحفاظًا على الأمن القومي.

الثلاثاء: 28 فبراير 2017

المصدر الرئيس للإرهاب!

الحادث الإرهابي الذي تعرض له الآمنون العُزَّل في الكنيسة البطرسية، عمل إرهابي.. مُدان ومرفوض، تخجل أمامه كلمات الأسى والحزن، تمامًا مثل التفجير الآخر الذي طال كمينًا للشرطة في منطقة الهرم قبلها بساعات.

تلك المشاهد البشعة التي أدمت القلوب، فاقت حدود المنطق، وتخطت كل القيم الإنسانية، لكنها برأينا ليست سوى نتاج طبيعي لما ابتلينا به في العقود الأخيرة بنزعة التطرف، التي رسخ لها الفكر الوهابي، المصدر الرئيس لتصدير الأفكار الشاذة والفتاوى العجيبة، كأحد واجهات التطرف العقيم، التي يعاني منها الدين الإسلامي.

لا شك أن العالم كله، خصوصًا دولنا العربية، يتحملون أوزار انتشار وظهور هذا »الدين الجديد«، وتحديدًا نهاية السبعينيات من القرن الماضي، عندما دخلت القوات السوفيتية، العاصمة الأفغانية »كابول« لدعم الانقلاب الشيوعي ضد فصائل تسمي نفسها »المجاهدون الأفغان«.

بالطبع، لم تكن الولايات المتحدة الأمريكية، بعيدة عن المشهد، بتشجيع ودعم هؤلاء »المجاهدين«، حيث مارست ضغوطًا هائلة على الدول العربية ـ خصوصًا النفطية منهاـ ليتم السماح للشباب العربي، بـ»الجهاد« في الحرب ضد »الكفار السوفيت«.

لم تتأخر الدول العربية وخصوصًا الخليجية ـ بطرق رسمية وغيرها ـ في تشجيع الشباب على »الجهاد«، وإصدار الفتاوى اللازمة، في إطار حالة التعبئة العامة، وحرصها على تجييش المشاعر الدينية عبر مختلف الوسائل الإعلامية »ترغيبًا وترهيبًا«.

المدهش أن الأمر كان مستهجنًا لدى المسؤولين الأفغان أنفسهم، الذين كانوا يفضلون الحصول على قيمة تذكرة السفر التي أتى بها »المقاتل العربي« بدلًا من حضوره الشخصي، بل إنهم نصحوا »المجاهدين العرب« إن كانت لديهم رغبة في الجهاد أن يذهبوا لتحرير فلسطين أولًا ! !

عندما بلغ عدد »المجاهدين العرب« أكثر من **40** ألف متطوع في مطلع ثمانينيات القرن الماضي، وكانوا يشكلون عبئًا على حركة المقاومة الأفغانية، لم تكن تتوقع الأنظمة العربية أنها تلعب بالنار، لأن ما حصل لاحقًا هو إعادة إرسال نصف من يسمون أنفسهم بالمجاهدين إلى بلدانهم الأصلية لرفع »راية الجهاد« و»الزحف المقدس« ضد شعوبهم و»حكوماتهم الكافرة« !

تطور الأمر بعد ذلك في العام **1990**، عندما غزا صدام حسين دولة الكويت، وقام باحتلالها، لتكون فرصة عظيمة لتنظيم القاعدة الإرهابي الذي أسسه أسامة بن لادن، من خلال تشكيل تنظيم سري لمحاربة القوات الأجنبية «الكافرة»، وتفجير سفارات وقتل أبرياء، حتى كانت «غزوة نيويورك» التي غيرت وجه العالم!

لا نبالغ عندما نقول إن ما أوصلنا إليه «الدين الوهابي» كان وبالًا على الإسلام والمسلمين عمومًا والعرب خصوصًا، رغم إنفاق حكام خليجيين مليارات الدولارات على ما أسموه بـ«الصحوة الدينية» خلال الفترة من **1991 ـ 2001**، والتي بكل أسف أعقبها عملية تفريخ مستمرة للتنظيمات الإرهابية كـ«داعش» وغيرها!!

الثلاثاء: 20 ديسمبر 2016

يد اللّه «مع الجماعة» !

مؤتمر «جروزني»، أو ما سُمي بملتقى «أهل السنة والجماعة»، الذي استمر أسبوعًا في العاصمة الشيشانية، بحضور **200** عالم «سُني»، من مختلف الدول العربية والإسلامية، استهدف ـ بحسب منظميه ـ تفويت الفرصة على الجماعات الإرهابية التي تستغل مناهجها التدميرية في إشاعة التطرف والتكفير.

المشاركون «السُّنة» أكدوا أن هذا «التجمع» يُسهم بشكل جاد في إخماد حروب الإرهاب الهمجية والعبثية، لكنه في الحقيقة أشعل نارًا وفجَّر بركان الغضب لدى «السلفيين» و«الوهابيين» الذين استثناهم، خصوصًا في ظل مشاركة مصرية رفيعة المستوى.

غاب عن مؤتمر الشيشان علماء «الوهابية» من السعودية ومعظم دول الخليج، باستثناء الإمارات، حيث كان لافتًا أن التوجه العام يقتصر على «الأشعرية» و«الماتريدية»من دون غيرهم.

استثناء «الوهابيين» أثار غضبهم، واعتبروه «متعمدًا»، بعد استبعادهم، وبروز الصبغة الصوفية على المؤتمر، خصوصًا بعد البيان الختامي الذي توافق عليه «المأتمرون» بوصف

أهل السنة والجماعة، أنهم «الأشاعرة والماتريدية في الاعتقاد، وهم أهل المذاهب الأربعة في الفقه وأهل التصوف»، في حين تجاهلوا «أهل الحديث» وغيرهم!

ربما زعم المشاركون في المؤتمر «تصويب الانحراف الحاد والخطير الذي طال مفهوم أهل السنة والجماعة، إثر محاولات اختطاف المتطرفين لهذا اللقب، وقصره على أنفسهم وإخراج أهله منه»، لكن في المقابل لم يحاولوا توحيد الكلمة ولم شمل الكيانات المتعددة، مثل الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين و«نظيره» مجلس حكماء المسلمين، الذي أسسته الإمارات قبل عامين!

سياسيون وأكاديميون يرون أن المؤتمر يستهدف بوضوح التآمر على السعودية، وعزل السلفية عن أهل السنة، أو بمعنى أوضح، إخراج السلفية من دائرة أهل السنة والجماعة، وفتنة لتقسيم أهل السنة، تضاف إلى سجل زمن السقوط!

المؤسف أن كثيرًا من الكتّاب والعلماء والمفكرين السعوديين شنوا هجمة شرسة وأطلقوا تصريحات غاضبة غير مسؤولة، على من حضر المؤتمر، بل إن بعضهم ربط مشاركة شيخ الأزهر بتوجه رسمي مصري، مطالبين بضرورة تغيير التعامل مع القاهرة، لأنهم اعتبروا الأمر نكرانًا للجميل، ولذلك فهم يطالبون أن تُدير المملكة ظهرها لأرض الكنانة!

المؤتمر، اعتبره آخرون، ضربة روسية سياسية للسعودية،

كونه انعقد في العاصمة الشيشانية «إحدى الجمهوريات الروسية»، ليسبب إحراجًا لعلماء الوهابية، الذين بدورهم قالوا إن رعاية موسكو المقصود بها الاستفادة منه في الأحداث الدائرة بسورية.

المؤسف أن حرب التصريحات والتغريدات التي أشعلها مشايخ وكتّاب سعوديون، بعد إقصاء المملكة، انصبت على مشاركة شيخ الأزهر، ما جعلهم يصفون المؤتمر بمهرجان المؤامرة، واتفقت آراؤهم جميعًا على ضرورة تغيير التعامل مع مصر؛ لأن وطنهم «السعودية» أهم، بل تطرف بعضهم بالقول: «لتذهب مصر إلى الخراب»!!

نعتقد أنه كان من الأَوْلى، عقد مؤتمر شامل وجامع للتقريب بين جميع المسلمين، بمذاهبهم وطوائفهم كافة، ومناقشة أحوالهم البائسة، في زمن أصبحت تطل فيه علينا فتن «أهل الدين»، من تسميم لعلاقة المسلمين بغيرهم، وصراعات الإسلاميين والعلمانيين، وخصومات واحتراب السنة والشيعة.

نتصور أن الاختلاف بين المسلمين لا يعني شق الصف، ولذلك يجب أن يبحث الجميع عن المساحات المشتركة وتوسيعها عبر التفاهم والحوار، وتعزيز الحراك الفكري، لأن الاختلاف في التفسير والتأويل والجزئيات يمكن أن يُناقَش بأسلوب هادئ وهادف، وبالتالي تحقيق التقارب والتآلف والنأي عن كل ما يفرق.

الثلاثاء: 06 سبتمبر 2016

عاصفة الفتنة

لم تكد تنتهي عاصفة «جروزني»، التي هبت رياحها على العالم الإسلامي، وتحديد المنضوين تحت عباءة «أهل السُنة»، حتى تفجرت حمم بركان المذهبية البغيضة، بين الشيعة والسُّنّة.

«الخصمان» اللدودان الإقليميان «السعودية وإيران»، يعيشان علاقات متوترة، وهما على طرفي نقيض في نزاعات المنطقة، تُوِّجت بقطع العلاقات الدبلوماسية بينهما مطلع العام الجاري، على خلفية إعدام المعارض السعودي الشيعي نمر النمر، وما سبقها من فتور، منذ حادث التدافع في مشعر منى العام الماضي، الذي ذهب ضحيته **2297** حاجًا، من بينهم **464** إيرانيًا، وهو ما استدعى منع طهران مواطنيها من أداء الحج هذا العام!

تفجرت الأحداث، خلال الأيام الماضية، بشكل متسارع وغير متوقع، إثر قيام مرشد الثورة الإيرانية «علي خامنئي» بتجديد اتهاماته للسعودية بالتقصير في إدارة ورعاية شؤون الحج، وانتهاز الفرصة لشن هجوم لاذع على المملكة، مدعيًا

«أنها وراء إراقة الدماء في اليمن وسوريا والعراق والبحرين»!

لم يتأخر «التضامن» الخليجي، أو الرد السعودي، حيث اعتبر ولي العهد محمد بن نايف، أن إيران «تسعى لتسييس الحج وتحويله لشعارات تخالف تعاليم الإسلام، وتخل بأمن الحج والحجيج، وهو أمر لا تقبله المملكة ولا ترضى بوقوعه»، في مفارقة غريبة مع خطبة الجمعة الماضية لإمام الحرم المكي، الذي وجدها فرصة سانحة للدعاء على الشيعة!

الرد الأقوى والمزلزل جاء على لسان المفتي العام للمملكة عبدالعزيز آل الشيخ، الذي أخرج الإيرانيين من رِبقة الإسلام، مؤكدًا أن «الإيرانيين» ليسوا مسلمين، لأنهم- برأيه- أبناء المجوس، وأن عداءهم مع المسلمين أمر قديم، وتحديدًا مع أهل السنة والجماعة!

حفلة التراشق لم تنتهِ بعد، خصوصًا أن الردود الإيرانية هي الأخرى، على لسان كبار المراجع، اتهمت السعودية بأنها «مركز الوهابية المتطرفة التي تشكل خطرًا على البشرية والعالم أجمع»، بينما نددت هيئة كبار العلماء في المملكة بالتدخلات «الفارسية»، ومحاولات التشويش والمهاترات والتسييس التي لا يقرها الإسلام، وتعبث بمشاعر العبادة ومناسك الحج!

المؤسف أن خطر التقسيم يهدد الأمة الإسلامية، التي تحوم حولها خيوط المؤامرة الكبرى، وهي في غنى عن هذه الخلافات التي لن تؤدي إلى شيء، سوى مزيد من الشقاق

والفرقة والعداوات والمعارك «الوهمية»، ولن يسفر هذا العداء إلا عن تمزق وهزيمة.

نعتقد أنه عندما تتحكم النزعات الطائفية البغيضة، وتطفو المذهبية اللعينة على العلاقات بين أبناء الملة الواحدة والقبلة الواحدة والإله الواحد والرسول الخاتم، فلا شك أن ذلك عار وحماقة وجهل، كما نتصور أن الطائفية، جريمة نكراء تستهدف وحدة الأوطان وتماسكها، ولذلك يجب توقف هذا الهراء، ووقف خلط الأوراق، حتى لا تشيع الفتنة بين الناس، فالمسلمون الآن في أضعف مرحلة في تاريخهم، وليس من العقل ولا من الحكمة ولا من المنطق أن يستعدي السنة الشيعة، أو أن يستعدي الشيعة السنة.

يبدو أن الأمر لن يمر سريعًا دونما خسائر، خصوصًا أنه لا فائدة من هذا التراشق بين الجانبين، ووصول الأمر إلى حد التكفير، ومن المؤسف أيضًا تكفير مذهب بالكامل يتجاوز عدد المنتسبين له ربع عدد المسلمين في العالم!

لماذا نوقد نار الفتنة في دائرة أهل الإسلام، وزرع الكراهية في القلوب وغرس البغضاء في النفوس.. ولماذا لا يكون الحوار والتواصل والجدل بالتي هي أحسن، بدلًا من تهييج المشاعر واستثارة كوامن الغضب من قبل أتباع الطائفتين، المتحمسين أصلًا للفرقة والتشرذم؟!

الثلاثاء: 13 سبتمبر 2016

روحانيات

الرسول الأعظم.. «مُحَمَّد»

ما أكثر العظماء الذين خلدهم التاريخ، وصاروا ينبوعًا تستقي منه الأجيال.. لكن شخصية فريدة واحدة فقط، اجتمعت فيها كل الفضائل، وتجلت فيها صفات الكمال الإنساني، وقيم التسامح والمبادئ السامية وكمال الرحمة والخُلُق العظيم والنفس الزكية.

عندما نتحدث عن أعظم العظماء، و«النبيل» الذي قهر الأهواء، وبلغ أسمى مقاييس العظمة البشرية، وأفضل مثال يُجَسِّد الإنسانية في أسمى صورها وتجلياتها وأبهى معانيها، والمنبع الصافي لتأصيل المُثل، بما تحمله من معاني الحق والعدل والسماحة والسلام، فهو «مُحَمَّد».

لم يذكر التاريخ عبر آلاف السنين شخصية اكتملت فيها كل صفات الفضيلة مثل «مُحَمَّد»، الذي جمع الشمل وألَّف القلوب، وأقام صرح العدالة والمساواة، وحارب الظلم والفساد، وأوقد جذوة العلم والمعرفة، وحارب الجهل والضلال.

إنـه رجـل لم تنجـب البشـرية مثلـه علـى الإطـلاق.. أعطـاه الله في الدنيـا شـرف النسـب وكمـال الخَلـق، وجمـال الصـورة، وقـوة العقـل، وفصاحـة اللسـان.. فهـو المثـل الأعلـى في الحيـاة، والمثـال الكامـل والأعظـم بـلا منـازع، لـكل مـن يفهمـون العبقريـة وخصائصها.

عندمـا نتحـدث عـن إنسـان اكتملـت عنـده معـالم الديـن، واصطفـاه المـولى سـبحانه ليختـم بـه النبـوة، حتـى تكـون حياتـه منهاجًـا وهَدْيًـا لأجيـال لا منتهـى لأعدادهـا، يـدرك أن «مُحَمَّدًا» خـير قـدوة للبشـرية وهـي تتلمـس طريقهـا نحـو عـالم الكمـال والمثاليـة والحيـاة الفريـدة، لأنـه بحـق «رحمـة مهـداة للعالمـين».

كان يـوم مولـده نـورًا، أضـاء جنبـات الأرض بالتوحيـد والهدايـة، ليصبـح منـارة للسـائلين، وقـدوة للمتقـين.. وفي ذكـراه العطـرة، يصعـب وصـف هـذا النمـوذج الفريـد مـن الصفـات العاليـة والآداب الرفيعـة ومـكارم الأخـلاق والفضيلـة.

مولـده المبـارك كان يومًـا مشـهودًا في تاريـخ الإنسـانية، وذكـراه العطـرة لهـا أثـر عظيـم في النفـوس وتأثـير واضـح في السـلوك، ولذلـك فـإن الاحتفـاء بهـذا اليـوم العظيـم يعـد وفـاءً بحبـه، وتكريمًـا لـه، واقتـداء بـه.

لعل ما يُبهج القلب أن الاحتفال بمولد الرسول الأعظم والنبي الأكرم.. خاتم الأنبياء وسيد المرسلين، يمثل صورة تُجَسِّد الفداء بالفداء، والتضحية بالتضحية، والكرم بالكرم، والشهامة بالشهامة، والوفاء المطلق.

«مُحَمَّد» نبي الرحمة والمغفرة، وصاحب منهج المحبة والصفح والتسامح، ورجل المبادئ الذي وجبت محبته.. هو فكرة امتدت لأكثر من أربعة عشر قرنًا، يمتد أثرها ما بقي على الأرض قرآن يُتلى، أو عاش مسلم مُوَحِّد، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

إن ذكرى خير الخلق، فرصة لكي يحاسب الإنسان نفسه على ما فرَّط فيها من هجر لسننه، وابتعاد عن منهجه القويم.. «اللهم صلِّ على محمد وآل محمد، كما صلَّيت على إبراهيم وآل إبراهيم، وبارك على محمد وآل محمد، كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد».

الثلاثاء: 06 ديسمبر 2016

أمي.. الحب المقدس

أمـي.. هـي ينبـوع اللطـف والرحمـة الإلهيـة، ومصـدر النـور والفيـض الإلهـي.. إذا سعى الإنسـان في الاقـتراب منهـا ارتـوت روحـه مـن فيـض هـذا البحـر الزاخـر المعطـاء المترامـي.

أمـي.. «كلمـة» دافئـة، تُطلَـق علـى كل طيِّـب ونفيـس.. «لفـظ» يقـال لـكل شـيء مقـدَّس.. «أسـلوب» للدلالـة علـى التضحيـة والفـداء والطهـر والنقـاء والحـب والحنـان.. «معنـى» للصـبر والتضحيـة والسـمو وصفـاء القلـب ونقـاء السـريرة.

أمـي.. المُضحيـة المُكَرَّمـة، صاحبـة المكانـة الرفيعة، والشـجرة الطيبـة المباركـة.. الكوكـب المضـيء لـكل مَـن حولـه، والكَنـز الثمـين لأسـمى معانـي الرحمـة والعطـف.. صاحبـة النَّفـس الزكيـة ونبـع العطـاء وهديـة السـماء.

أمـي.. وصَّـى بهـا الإلـه، وجعـل الجنـة تحـت قدميهـا، جـزاءً لحُسـن صنيعهـا، فأمـر سـبحانه بالـبرِّ بهـا، وجعـل رضاهـا مـن فرائـض الديـن، وعلامـة علـى حُسـن العبـادة، بـل جعـل طاعتهـا واجبـة ومقرونـة بطاعتـه.

أمـي.. الـبِرُّ بهـا حتمـي، والإحسـان إليهـا فطري، فـلا جزاء يمكـن أن يقدمـه الإنسـان إليهـا، يسـاوي لحظـة واحـدة، مـن صبرهـا وتحملهـا علـى المشـقة والتعب، وما واجهتـه من صعوبات في الحمـل والوضـع والفصـال والرضـاع والحضانـة والتربيـة.

أمـي.. تعجـز الكلمـات عـن وصفهـا.. هـي القيمـة والقامـة.. القـدوة والمعنـى، إنهـا المخلـوق الوحيـد الـذي يمثـل الإنسـانية بـكل أبعادهـا.. هـي الكلمـة الصادقـة القويـة، التـى تنطـق بهـا جميـع الكائنـات الحيـة طلبًـا للحنـان والـدفء والحـب العظيـم.

عندمـا تكـون الجنـة تحـت قدميهـا، فـأي منزلـة عظيمـة، وأي فضيلـة اختصَّهـا اللّه بهـا، بعـد أن كرَّمهـا وأعطاهـا مـا لم يعـطِ أحـدًا مـن قبـل. عندمـا تمـوت الأم ينـادي منـادٍ مـن السـماء: «يـا ابـن آدم ماتـت الـتي كنـا مـن أجلهـا نكرمـك، فـأتِ بعمـل صـالح نكرمـك مـن أجلـه».

حـق اُمـك أن تعلـم أنهـا حملتـك حيـث لا يحمـل أحـد أحـدًا، وأطعمتـك مـن ثمـرة قلبهـا مـا لا يُطعـم أحـد أحـدًا، ووقَتـك بجميـع جوارحهـا.. لم تبـالِ أن تجـوع وتطعمـك، وتعطـش وتسـقيك، وتعـرى وتكسـوك، وتضحـي وتظلـك، وتهجـر النـوم لأجلـك.. وقَتـك الحـر والـبرد لتكـون لهـا، أفـلا تطيـق برهـا وشـكرها!

إذا كان فضـل الوالدَيـن عظيـم، فـإن فضـل الأم أجـلُّ وأعظم، وتَلَمُّس رضاهـا ضـرورة لاسـتمرار طاقـة الحـب المتجـددة في هـذا

الكـون، وتدفـق شـعاع الأمـل، وتبـدد الظـلام المحيـط بهـذا العـالم.

أمـي.. هـي المجتمـع بأكملـه.. هـي المعلمـة التـى تربـي الأجيـال.. هـي الملهمـة لـكل مبـدع، والقـوة الدافعـة خلـف كل نجـاح.. هـي الحصـن الأخـير الـذى يحمـي الإنسـان مـن الخـوف، واليقـين الـذى يرجـوه مـن الوجـود.

أمـي.. هـي الرمـز، الوطـن، الأمـة، الدولـة، اللغـة، الهويـة.. هـي الوجـود كلـه.. هـي مانحـة القـوة والشـجاعة.. هـي مصـدر التحمـل والصـبر والتضحيـة والفـداء.. هـي الثـورة والحـق والعـدل.

تحيـة لـكل أم في هـذا الكـون، وسـلام عليهـا في كل زمـان ومـكان.. تحيـة إجـلال وتعظيـم في حياتهـا، والدعـاء لهـا بالرحمـة الواسـعة والمغفـرة بعـد مماتهـا.. تحيـة مـن القلـب لـكل أم قدمـت العطـاء ولا تـزال تُعطـي.. كل عـام وأنـتِ أمـي.

الثلاثاء: 21 مارس 2017

كاد المعلم أن يكون «...» !

ما زلنا نقف على أطلال البيت الشهير: «قم للمعلم وفِّه التبجيلا.. كاد المعلم أن يكون رسولا»، رغم اعتقادنا أنه لو كان أمير الشعراء أحمد شوقي يعيش في زماننا، لما كتب «بيته الخالد»، بل ربما أطلق صرخة استغاثة مدوية، من خلال أبيات ساخرة ممزوجة بالمرارة، إلى أولي الأمر وأولياء الأمور، من فشل المنظومة التعليمية!

مقولة «شوقي»، أصبحت ـ باعتقادنا ـ مجرد «أكذوبة»، نتذكرها كل عام، في الخامس من أكتوبر، بمناسبة اليوم العالمي للمعلم، الذي أصبح يعاني، على كافة المستويات.. تمامًا، كما هي الحال بالنسبة لقطاعات أخرى لا يُستهان بها، من وضع مزرٍ، ونقص تقدير، واحترام!

المعلم، هو أساس العملية التعليمية، والعمود الأساسي لنهضة الحضارات، والاهتمام به من عدمه هو مقياس تقدم أي بلد، لكنه ـ مع الأسف ـ في مصر، لم يحصل على أيٍّ من حقوقه، ومن الطبيعي أن يؤثر ذلك على عمله وأدائه لرسالته السامية.

نتصور أن الحالة النفسية بالاستياء لدى المعلمين، تعد نتيجة طبيعية، في ظل الانحدار الثقافي وقلة التقدير، المسيطرَين على المجتمع، ما يتطلب العمل على عودة التربية قبل التعليم لتنشئة جيل واعٍ قادر على تحمل المسؤولية.

المعلم في مصر، تحمل كثيرًا من النقد، بلغ في بعض الأحيان حد الاستهزاء والسخرية، وفي أحايين أخرى حاول البعض تحويل مهمته، من تعليم الأجيال إلى مهن أخرى، لا علاقة لها بالتربية أو التعليم!

العالم كله يحتفي بالمعلم، باعتباره «أساس بناء الأوطان، وتقدم الدول وباعث نهضتها»، لكن عندنا في «المحروسة»، أصبح مناسبة لتجديد أوجاع ومعاناة المعلمين ـ الذين يبلغ عددهم مليونًا و**250** ألفًا ـ خصوصًا في ظل تدني المرتبات وانتهاك الكرامة وفرض الحراسة على نقابة المهن التعليمية.

من الإنصاف القول إن كثيرًا من المعلمين أسهموا في صنع هذه الصورة البغيضة، من خلال الجشع وانعدام الضمير، أو إعطاء الدروس الخصوصية، بسبب تدني الرواتب التي يحصلون عليها، والتي لا تكفي الحاجات الضرورية للعيش، أضف إلى ذلك ضعف المستوى العلمي والثقافي عند كثير منهم!

لعل من المفارقات العجيبة أن مصر تحتل المرتبة قبل الأخيرة من بين **140** دولة، في مؤشر التنافسية في مجال

التعليم لعامي **2015 ـ 2016**، وهذا ربما يرجع إلى أن المعلم في بلادي، يعاني التهميش المادي والمهني والاجتماعي، مما انعكس بشكل مباشر على منظومة التعليم، التي ينبغي أن يرتكز جوهرها على تطوير مهاراته وأدائه.

أسئلة كثيرة حائرة في ذهني حول صورة المعلم الآن؛ خصوصًا أن بعض الدول تربط احتفالها بالمعلم بحدث وطني مهم يتعلق بالتربية والتعليم، كما تختلف الفعاليات في بلدان العالم بطرق الاحتفال، لا أقلها من جعله يوم إجازة رسمية، وزيارات خاصة من التلاميذ للمدرسين المتقاعدين والمرضى، أو إرسال بطاقات وتقديم بعض الهدايا الرمزية والورود، أما في معظم بلداننا العربية فلا عزاء للمعلمين!

ما يؤسف له أننا لا يمكننا عقد أي مقارنة مع حال المعلمين في الخارج، خصوصًا إذا علمنا أن دولة أوروبية صغيرة مثل لوكسمبورج، يحظى فيها المعلم بأعلى راتب في العالم، وبالطبع يمكننا استنتاج آخر **10** دول في ذيل القائمة، والتي لن تخلو في مجملها من العرب، حتى أنه ربما يكون مجرد ذكرها كمن يهتك عرض وشرف أسمى مهنة في الوجود!!

الثلاثاء: 11 أكتوبر 2016

رمضان.. «شهر التسول والحرمان» !

شهر رمضان، هو رسالة الروح ومدرسة الضمير وفلسفة الفكر، حيث يشكل فرصة متجددة لبدء حملة تطهير شاملة للنفس، لتصفية الرواسب خلال أحد عشر شهرًا.

إذا كان من فوائد الصوم خلال الشهر الفضيل، الإحساس بجوع الفقراء، فإن المغزى يكمن في الاقتراب الشعوري من الطبقة الفقيرة في المجتمع، ليتحول إلى عُرف إيجابي بين الناس.

"رمضان" فرصة استثنائية تُنقذ الإنسان من استغراقه بتفاصيل الأمور الحياتية اليومية، التي تكون سبباً لانشغاله عن ربه ودينه وصلة رحمه، لذا فإنه يختلف تمامًا على صعيد العادات والعلاقات الاجتماعية.

"رمضان" نِعم المُربِّي؛ لأنه شهر الاستغفار وكبح النفس عن مشتهياتها، لأن النفوس تُقاس بدرجة تحملها النوائب وصبرها على المكاره، كما أنه فرصة تتجدد لوضع برنامج جديد، يكسر الروتين التقليدي، والاندفاع باتجاه سامٍ يكفل

السلوك السوي.. يتواضع فيه الغني إلى مستوى الفقير، ويترفع فيه الفقير إلى مستوى الغني.

"رمضان" ليس للصيام فحسب، بل هو شهر البناء والتربية على أكثر من صعيد.. وهو ليس للتعبد والاعتكاف وتلاوة القرآن فحسب، بل يتعدى صلة الأرحام، والعطاء الكريم بالصدقات، بالانفتاح الاجتماعي على الفقراء، وتحسين الأخلاق، والتوبة من الذنوب، والالتجاء إلى الله سبحانه بالدعاء، والابتعاد عن الموبقات.

ما يؤسف له، أن هذه "الفلسفة" التي يجب أن يكون عليها الشهر الفضيل، تحولت مع الممارسات الخاطئة إلى أن يكون "رمضان" شهرًا للتسول والحرمان، حيث يشهد موجة هجوم كاسح من الأعمال التلفزيونية التي يتم التنويه عنها قبل أشهر، لتحاصر "الصائم" قبل انطلاقتها!

مع الأيام الأولى للشهر الكريم، يتبدد الانتظار، حين يُصاب الصائم بالدهشة عندما يتابع معظم تلك الأعمال، بما تحمله من "سخافات"، تُظهر حالة من التناقض المجتمعي، خصوصًا مع هذا الكم من الفواصل الإعلانية التي تفوق مدة عرض البرنامج أو المسلسل، وتتسم بالتناقض الحاد.

من إعلانات "التسول" والتبرع بالصدقات والزكوات، إلى إعلانات القصور الفارهة والمصايف والشاليهات والعطور والمجوهرات، نلحظ أن محتواها صادم للمتلقي، وكأننا

على موعد سنوي في شهر رمضان لزيادة جرعة "التسول"، وتكريس "الطبقية" بين الناس!

في المسلسل الإعلاني، تصطدم المشاعر بتكرار إعادة بعض المشاهد لشريحة كبيرة من المجتمع، ما بين جوعى ومرضى ومحتاجين، وآخرون مصابون بالتخمة من الثراء الفاحش، في استفزاز واضح لمشاعر البسطاء الكادحين المطحونين!

الثلاثاء: 14 يونيو 2016

يحسبهم الجاهل «فقراء من التسول»

ونحن على أعتاب الثلث الأخير من شهر رمضان، يمكن لنا أن نلحظ اندثار معالم الشهر الفضيل عما كان عليه في الماضي، خصوصًا في ذاكرة الأجيال الجديدة، حيث تحول عند الكثيرين إلى سهر وترفيه وعادات مستجدة، لا تتناسب مع روحانية وفلسفة شهر العبادة.

ما يؤسف له أن «رمضان» أصبحت أهم طقوسه ومعالمه في السنوات الأخيرة، موجة هجوم كاسح من البرامج والأعمال التليفزيونية التى تحاصر «الصائم»، بـ«انحطاطها»، وإعلاناتها «المستفزة»، التي تكرس «الطبقية» بين الناس!

ولكن.. لعل ما يثير «البؤس» خلال الشهر الفضيل، تحديدًا، هو تفشي ظاهرة التسول بشكل غير مسبوق، حتى أصبحت عند الكثيرين «منهاج حياة»، وباتت الأيادي الممدودة «عادة» أو «مهنة»، لا يخجلون من «احترافها»!

أصبح من الصعوبة أن تجد مكانًا خاليًا من المتسولين المنتشرين حولك في الشوارع والمترو وعند إشارات المرور،

وفي مناطق تكدس وازدحام السيارات، إضافة إلى الأسواق والمقاهي، ومواقف السيارات ومحطات المسافرين، ومكاتب البريد والبنوك، وعند أبواب المساجد والمقابر.

أينما تولي وجهك، يحاصرك المتنطعون المتسولون، (من الجنسين ومختلف الفئات العمرية وبكافة أنواع وأشكال الإعاقات)، لتعطيهم وتُحسن إليهم، حتى أنك قد تجدهم يحتقرونك بنظرات مستهزئة إذا لم تمنحهم صدقة معتبرة ـ خصوصًا مع ارتفاع سعر الدولار.

بعدما كانت تلك الظاهرة محدودة ومقصورة على النساء والأطفال فقط، أصبح يمتهنها الرجال وفحول الشباب، الذين يمارسون هذا «النشاط»، باغتنامهم شهر الرحمة الذي يكثر فيه المواطنون من العبادات، بما فيها الصدقات والزكوات.

خلال شهر رمضان تجد أبواب المساجد «العامرة» ومداخل الأسواق والمحال التجارية والمستشفيات «محجوزة» من المتسولين، حيث تلين القلوب وتكون أكثر سخاءً من الأشهر الأخرى، بعباراتهم التي تهز القلوب، وبملابسهم الرثة، وأحيانًا بأطفالهم الرضع «المستأجرين» الذين يحملونهم!

هذا «الحصار» قد يُجبر الإنسان على التصدق، بعد وابل الأدعية وعبارات الاستعطاف والترجي، على رغم اقتناعنا بأن أحد الأسباب الرئيسية لانتشار تلك الظاهرة، هو أن

المتسول لم يعد لديه مانع من التضحية بكرامته وعرضه وشرفه مقابل هذه المهنة لارتفاع دخله منها.

من خلال استفحال هذه الظاهرة «البغيضة» يصعب التمييز بين المتسول المحتاج والمحتال.. وبعد أن كان في السابق يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف، انقلبت الحال - بتلك الحيل والألاعيب المفضوحة - ليحسبهم الجاهل فقراء من التسول!

أخيرًا.. إذا كانت هذه الظاهرة مصدر دخل دائم - على مدار العام - للأفراد، فإن الضعف الاقتصادي لبعض الدول يجعلها أيضًا تلجأ للتسول، من خلال استدرار عطف الدول «الشقيقة والصديقة»، واستجلاب مساعداتها، باسم شعوبها الجوعانة، فتلجأ أنظمتها إلى البكاء والعويل وطلب العون، وبالتالي يمكن القول إنها دول شبيهة بالشخص الذي يتسبب بعاهة لابنه من أجل تسهيل الطريق نحو التسول، وفقًا للمثل الشعبي «حسنة قليلة تمنع بلاوي كثيرة...»!

الثلاثاء: 21 يونيو 2016

قوتك في «فيلتك».. شكرًا رمضان!

ساعات فقط، تفصلنا عن نهاية «سيد الشهور»، الذي تربت نفوسنا في أجوائه على الترفع والسمو، وبفضله رهفت مشاعرنا وأحاسيسنا، وقويت عزائمنا.

ساعات ونودع «شهر الله».. بنوره وخشوعه وعبقه وصفائه.. شهر المغفرة والرحمة والعتق من النار، بعد أن تعلمنا في رحابه، وزودنا من عطائه دروسًا عظيمة في العطاء والنقاء الروحي.

شكرًا «رمضان»، فقد أحييت القلوب، وأيقظت كثيرًا من الضمائر، وأعدت بعض التائهين والضالِّين إلى الطريق السوي، وعلَّمت الجميع دروسًا عظيمة وبليغة في الكرم والإحسان.

شكرًا «رمضان»، صاحب مدرسة معاني البذل والسخاء، من دون حساب.. نودعك أيها الشهر الفضيل، ومعانيك في نفوسنا باقية، حتى نعيش هذه الأجواء معك مرة ثانية، إن كتب الله لنا البقاء في هذه الحياة.

شكرًا «رمضان»، لأنك رصدتَ لنا شواهد حقيقية عن تزايد الفجوة بين الثراء الفاحش والفقر المدقع، واختفاء الطبقة الوسطى في المجتمع، التي كانت تمثل «سابقًا» شريحة كبرى تتجاوز **70%** من الشعب!

شكرًا «رمضان»، لأنك تودعنا وفي القلب غصة، من كشفك استمرار تكريس التفاوت الطبقي وتجاهل تطبيق العدالة الاجتماعية، وازدياد أعداد الملتحقين بالطبقة الدنيا، من المطحونين والمعدمين والمظلومين والمهمشين.

بكل أسف، يجب الإقرار أن هذا الشهر تجسَّدت معالمه في وجود إقطاع فاجر ووجه قبيح لرأسمالية ظالمة، تكرِّس وجود أقلية مستغلة، تملك كل شيء، وغالبية محرومة، لا تملك شيئًا، ما يجعل الاعتراف أو الحديث عن عدالة اجتماعية ترفًا لا وجود له، إلا في مخيلة الكتَّاب والمنظرين!

إن الحديث عن ضرورة وأهمية تحقيق أهداف الشهر الفضيل، في تجسيد المساواة والتكافل، تظل شعارات جوفاء تتبخر في الهواء، أمام ما تابعناه على الفضائيات من برامج وإعلانات تصيب الإنسان بالصدمة.

الأعمال الدرامية والبرامج، والتكاليف العالية والأجور المبالغ فيها، والإعلانات المدفوعة، عن فلل سكنية ومنتجعات جديدة تعوم فوق الماء ـ بما تحويه من حمامات للسباحة وملاعب جولف ـ يقابلها أخبار عن قرى وزراعات

تموت من العطش، في مشهد يمثل تناقضًا محيرًا ومستفزًا.

أجور بالملايين، وتكاليف إنتاجية بمئات الملايين، لأعمال سطحية تافهة، وإعلانات صادمة، تدعو للتبرع بالملابس للفقراء، والزكاة والصدقات للمرضى والمحتاجين والغارمين، وبنك الطعام للجائعين، أو تلك الأخرى التي تصور حياة الفلل والقصور والمنتجعات السياحية، في مقاربة غير عادلة!

المثير والمدهش في الأمر، هذا الفرق الشاسع بين النموذجين، حتى يكاد المرء لا يصدق أنهما صورتان لبلد واحد، يعاني من الفساد والتضخم والبطالة والفقر، ومثقل بالديون، ما يؤجج مشاعر الاستياء والنقمة والحقد والكراهية.

ربما كان الشهر الفضيل كاشفًا لي ولغيري عن مدى التفاوت بين الطبقات، واتساع الفجوة بين الأغنياء والفقراء، بحيث لا أستطيع إخفاء أنني واحد من هؤلاء الذين يستفزهم ذلك التناقض، خصوصًا أنني لا أستطيع شراء فيلا بـ«جنينة واحدة»، ناهيك عن فيلا بثلاث «جناين»!

الثلاثاء: 05 يوليو 2016

«معرض» وصاحبه غايب!

الثقافة هي العنصر الأساسي الذي يحرك الإنسان، ويدفع المجتمع ليكون أكثر تقدمًا واستنارة.. لكننا بكل أسف، نعيش واقعًا مريرًا، وتدهورًا حادًا للواقع الثقافي، الذي يحتاج بالفعل إلى إنقاذ عاجل!

معرض القاهرة الدولي للكتاب، أحد أهم وأكبر روافد الثقافة العربية، لكنه منذ سنوات، أصابه الفتور وفقد بريقه، خصوصًا مع دورته دورته الثامنة والأربعين، التي بدأت قبل أيام، تحت شعار «الشباب.. وثقافة المستقبل»!

في ظل التحديات التي تواجه صناعة النشر، وضعف الاهتمام بتنمية عادة القراءة لدى الأفراد منذ الصغر، وارتفاع نسبة الأمية، والاعتداء على حقوق الملكية الفكرية للمؤلف والناشر، والظروف السياسية والاقتصادية الصعبة، يصبح المعرض مجرد شعار فقط!

نعتقد أن الوضع الثقافي بات مقلقًا، خصوصًا مع استمرار سيطرة الوجوه القديمة على المشهد، وآثار تعويم الجنيه

على أسعار الخامات والورق، وارتفاع أسعار الكتب بشكل جنوني، ما جعل القارئ والناشر والمؤلف، أسرى للأزمة الاقتصادية!

منذ أول معرض أقيم في العام **1969**، كانت المشاركة ترتفع بشكل ملحوظ، إلا أن الدورة الحالية تبدو هزيلة، بعد عزوف كبير من دور النشر والكُتّاب والقُرّاء والدول المشاركة، متأثرين بأزمة اقتصادية طاحنة، طغت على المشهد الثقافي برمته، حيث وصلت أسعار الكتب إلى أرقام صادمة وفلكية، أفسدت فرحة الزوار بالاحتفالية الثقافية الكبرى!

يمكن ملاحظة أن بعض الناشرين حرصوا على المشاركة بأقل خسائر ممكنة، فيما لجأ البعض الآخر إلى الامتناع، والجميع أصبح بين نار رفع الأسعار - التي قد تؤدي بدورها إلى إحجام القارئ - وبين انكماش الإنتاج، الذي يهدد دور الكتاب الورقي في حياتنا.

ورغم أن رغم أن المعرض في الأساس حدث ثقافي، إلا أنه كان يحمل إشارات سياسية بامتياز، حيث كانت روسيا والمغرب أبرز الحاضرين، فيما غابت تركيا عن المشاركة، كما تم حظر مؤلفين وكتب وإصدارات بعينها، ما يعني التعاطي مع المعرض بوصفه ملكية خاصة أو ربما مقصلة سياسية!

إن معـرض القاهـرة الدولـي للكتـاب هـو النشـاط الثقـافي الأبـرز والأكثـر جماهيريـة طـوال العـام، حيـث صمـد عشـرات السنين وحافـظ علـى جـزء كبـير مـن دوره وفاعليتـه، ولذلـك لا يمكـن تركـه للمجهـول، ليعكـس حالـة التخبـط الـتي تعانيهـا وزارة الثقافـة، وكأنـه لا يكفـي تحمـل الناشـر والمؤلـف والقـارئ تبعـات الارتفـاع غـير المسـبوق في التكاليـف!

إن مـا يحـدث عندنـا لا مثيـل لـه في أي بلـد، خصوصًـا أن الحكومـة لا تعـرف شـيئًا عـن صناعـة النشـر ولا تعـترف بهـا، ولا تسـن القوانـين لتنظيمهـا وحمايتهـا، أو تبحـث في مشـاكلها، وبالتالـي لا تُجيـد اسـتخدامها كقـوة ناعمـة أو كصناعـة لا تقـل عـن التصنيـع العسـكري!

إن إنقـاذ المشـهد الثقـافي يحتـاج إلى «تطهـير» و«نسـف» منظومـة القوالـب الجامـدة، و«تغيـير» جـذري للوجـوه الجاثمـة علـى أنفـاس الثقافـة منـذ عقـود، الـتي تتصـدر المشـهد، ولا تملـك أي حلـول أو رؤى جديـدة.

الثلاثاء: 31 يناير 2017

«التطبيع».. بروح رياضية!

حالة من الجدل العقيم والمشاعر المتناقضة، سيطرت على غالبية المصريين والعرب، بعد الهزيمة القاسية التي مُنيَ بها إسلام الشهابي «100 - 0» أمام «اللاعب الإسرائيلي»، ضمن منافسات دور الـ32 لمسابقة الجودو بأولمبياد ريو دي جانيرو **2016** في البرازيل.

ما حدث، قسَّم الناس إلى «حمائم» و«صقور»، حيث اعتبرها البعض مجرد مباراة رياضية فقط، وأن الهزيمة الكبيرة «في إطار المنافسة» ليست نهاية المطاف، ولابد من منتصر ومهزوم، ولا مجال للتشكيك في وطنية اللاعب أو المسؤولين في اللجنة الأولمبية المصرية!

أما الآخرون، فقد «رجموا» اللاعب، واعتبروا مجرد قبوله مواجهة «الخصم»، خيانة وتآمرًا وتواطؤًا، كما أنهم لم يفوتوا الفرصة لكي يحولوا الهزيمة المريرة بالضربة القاضية إلى «مأتم» وحفل «شماتة» للرقص على «أنقاض» الهزيمة الرياضية والأخلاقية، والتطبيع غير المبرر!

جذبت المباراة انتباه العالم، لما لها من طابع خاص، كونها إحدى المباريات النادرة التي يقبل فيها طرف عربي مواجهة «إسرائيلي» رياضيًا، كما أن توابعها لن تهدأ قريبًا، خصوصًا أن عددًا لا يُستهان به من الرياضيين العرب المشاركين في الأولمبياد، كانوا انسحبوا من مواجهات «خصومهم» ممن يحملون الجنسية «الإسرائيلية»!

على الجانب الآخر، لم يفوِّت «الإسرائيليون» الفرصة، كعادتهم دائمًا، واستغلوا الحدث «الرياضي» النادر، على أعلى المستويات السياسية، مسلطين الضوء على رفض اللاعب المصري مصافحة خصمه، لأنهم يرون ما حدث يؤيد وجهة نظرهم بأن «الرياضيين العرب هم الوحيدون في العالم الذين يرفضون منافسة رياضيين من دول أخرى، بسبب التطرف والكراهية والعنصرية والتحريض وانعدام الروح الرياضية»!!

نعتقد أنه في ظل وجود منافسات دولية وقوانين منظمة للمحافل الرياضية العالمية، لن تكون مواجهة «إسلام الشهابي» الأخيرة، أمام لاعب «إسرائيلي»، حتى لو كان «اللاعب» أحد مستوطني «القدس المحتلة»، أو مقاتلًا سابقًا (ضابط برتبة نقيب) في «الجيش الإسرائيلي»، إلا إذا تم تأطير ما حدث في سياق جيوسياسي جديد يحمل رسالة ذات مغزى، تأسيسًا على «السلام الدافئ» لخلق «نظام إقليمي جديد»!

برأينـا، أن التوسـع الـذي يبـدو «مبرمجًـا» في أشـكال ومساحة التطبيـع مـع «إسـرائيل»، حتـى لـو تم وضعـه في إطـار «تشـجيع وإحيـاء» عمليـة السـلام «الـتي شـبعت موتًـا»، مـا هـو إلا «تحايـل» غـير مـبرر علـى الضوابـط الأخلاقيـة الصارمـة للموقـف مـن «الدولـة العبريـة»، الـتي كانـت ولم تـزل «وفقًـا للعـرف السياسـي» دولـة عنصريـة، كونهـا حصريـة فقـط لليهـود كجماعـة أنثروبولوجيـة ذات انتمـاء ديـني، أي باختصـار «دولـة صهيونيـة»!

حتـى لا يتـم اتهـام النظريـات العلميـة والأكاديميـة بـ«معـاداة السـامية»، يصـح في ميـزان التاريـخ أن تبقـى مصـر «الرسميـة» علـى سـلامها «البـارد» مـع إسـرائيل، مـا دامـت «صهيونيـة ـ عنصريـة»، وأن تحافـظ مصـر «الشـعبية» علـى تماسـكها القيمـي والأخلاقـي القـوي المقـاوم لأي تطبيـع، وذلـك أضعـف الإيمـان!

الثلاثاء: 16 أغسطس 2016

حنين إلى ابتسامة الطفولة

بعيدًا من فاجعة غرق »مركب رشيد« التي أدمت القلوب، وتطبيق قانون الضريبة على القيمة المضافة، و»تحرش« الدولار بالجنيه، وجشع التجار، والغلاء، وجنون الأسعار، وصعوبة المعيشة... نرجو ألا نكون من هؤلاء الذين يحاولون» خلق مناخ تشاؤمي في البلاد«!!

على رغم ما يكابده المواطن من إحباط ويأس وهموم وأوجاع لا نهاية لها، إلا أنه لا يمكن إنكار وجود لحظات يلتقط فيها الإنسان السعادة من أي معنى، لتستعيد الروح وهجها وإشراقها، واستقبال الفرحة والتفاعل معها في وقتها، دونما أي انتظار، أو اكتراث بالحسابات التي من شأنها أن تغتال تلك اللحظات الجميلة.

لحظات صفاء وتأمل نادرة؛ عشتها أخيرًا؛ عندما استيقظت فجرًا، أترقب بدء طابور الصباح، في اليوم الأول من العام الدراسي الجديد، بإحدى المدارس الابتدائية الملاصقة لبيتي الريفي.

رأيت عبر نافذتي أطفالًا في عمر الزهور، يلبسون ثيابًا جديدة، ويحملون حقائبهم المثقلة على ظهورهم.. السعادة الغامرة تكسو وجوههم، والبراءة تشع من عيونهم، في مشهد لا يتكرر سوى مرة واحدة كل عام.

تابعت مشهدًا يصعب وصفه.. ترقب الكبار والصغار، لاستقبال اليوم الدراسي الأول.. البراعم والزهرات في صحبة آبائهم وأمهاتهم، فرحين وهم يستمعون إلى نصائح ما قبل الحصة الأولى.. الأطفال ينتظرون بشغف ويتابعون باهتمام، في انتظار معرفة صفوفهم وأماكن جلوسهم.. يقفون متراصين في صفوف، لا تخلو من بعض المشاكسات حول أولوية الوقوف في الصف، وكلهم يأملون أن يكونوا في المقدمة.

ودَّع الآباء والأمهات أبناءهم، وعيونهم مليئة بدموع الفرح، وقلوبهم تلهج بالدعاء لأبنائهم، متمنين لهم أن يكونوا أفضل حالًا منهم، راجين أن يكون عامًا سعيدًا، مختلفًا عن »السنوات العجاف«.

استحضرتُ ذاكرتي، مع تلك المشاهد التي لم تغب عن ذهني، في أول يوم دراسي، عندما ذهبت إلى المدرسة، ينتابني شعور؛ لم أدركه حينها؛ بعد أيام عدة قضيتها انتظارًا لتلك اللحظة الفارقة.. لم أنم قبلها بأيام عدة.. حقيبتي الجديدة لا تفارقني و»المريول الأصفر« الذي سأرتديه، بين أحضاني.

كانت لحظات انتظار صامتة، أترقب فيها موعد فتح

بوابة المدرسة.. دخلت مع زملائي إلى الفناء في اصطفاف طابور الصباح.. رددت النشيد الوطني وتحية العلم.. انتظمت بعدها في الصف، واستمعت إلى التوجيهات المتكررة والنصائح المعادة من المعلمين، وقبلها من والديَّ.

شعور لا يمكن وصفه، عندما تكون تلميذًا في أول يوم دراسي، وإحساس أروع عندما يتكرر المشهد نفسه - مع اختلاف العصر وأدواته - ولكن هذه المرة مع أبنائك.

لم نكن نعلم ما يكابده الوالدان من مشقة لكي يوفرا متطلبات الحياة، واهتمامهما بالمستقبل التعليمي لأبنائهما، الذين - قطعًا - لا يدركون هذه الحقيقة إلا بعد أن يكونوا في موقع تحمل المسؤولية.

أتصور أن لا أحد يستطيع نسيان أول يوم دراسي، أو أول طابور صباح، وبالتأكيد رحلة البحث عن مقعد مناسب قبيل انطلاق الحصة الأولى.. إلى جوار صديق أو جار.

تمر الأيام والسنون، ويعاد المشهد بشخوص وأماكن ومعالم مختلفة.. المناهج والأدوات والأبنية والمعلمين.. كل شيء تغير، ولكن الأجمل أن تلتقي زملاء الدراسة القدامى بعد أن أصبحتم آباءً، ومعكم أبناؤكم، ليبدأ الجيل الجديد رحلة تعارف.. وكأن التاريخ يُعيد نفسه!

الثلاثاء: 27 سبتمبر 2016

الابتسامة.. كنز لا يفنى!!

المصريون من أعرق الشعوب حضارة عبر التاريخ.. يختلفون عن غيرهم من سائر الأمم، بخفة الظل والدعابة والفكاهة، ويتصفون دائمًا بروحهم المرحة، حتى في أحلك الظروف وأشدها مرارة وقسوة.

لكن.. ماذا حدث للمصريين، وماذا حلَّ بهم فى السنوات الأخيرة؟.. للوهلة الأولى من النظر في وجوههم ترى كثيرًا منهم وكأن على رؤوسهم الطير، ليصبح الحزن حاضرًا في مشهد حياتهم العبثي، والابتسامة فارقت محيَّاهم، إلى غير رجعة!

هل يمكن أن يكون بسبب «المرار الطافح» من تلك التقارير «المغرضة» و«المحبطة» التى تشير إلى ارتفاع نسبة التضخم، وزيادة معدلات البطالة، وتهاوى سعر الصرف للجنيه بصورة لم يسبق لها مثيل فى التاريخ، وجنون الذهب، أم الغلاء المتصاعد والمتوحش، وشُح معظم السلع الأساسية؟!

أم يكون بسبب الإحصاءات التى تشير إلى أن ثلثى الشعب يعيش تحت خط الفقر، بسبب انهيار السياحة، وانخفاض إيرادات القناة، وتحويلات العاملين بالخارج، وهروب رؤوس الأموال الأجنبية، وزيادة الدَّين المحلى والخارجى، وتآكل الاحتياطى النقدى، والفساد الذى ينهش المجتمع؟!

أو ربما يكون السبب هو أن المصريين باتوا فى وضع لا يُحسدون عليه، فى ظل الفقر والجوع والحرمان والمرض، أم عدم وجود أى سياسة تنموية حقيقية ملموسة، وتآكل وانهيار الطبقة المتوسطة، أو ما يتعرضون له من ضغوط مستمرة لتحميلهم مسؤولية عبء فاتورة الديون وفوائدها، وعجز الموازنة العامة من جيوبهم المهترئة!!

عزيزى المواطن: لماذا لا تبتسم، لمَ أراك عابسًا طوال الوقت.. متى أرى انفراج أساريرك التىَ غابت ولم ألاحظها منذ سنوات؟.. إن معاناتك اليومية والحياتية هى جزء من معاناة أمة بأكملها!!

رغم أن الحال السيئ الذى وصلنا إليه من تخبط وعشوائية وسوء تخطيط وإدارة، لكن تمسك بالأمل فى اللّه وحده، ولا تدع الغضب والإحباط يتملك حيال «القائمة السوداوية» التى لا تنتهى!!

إن الرضى نعمة وفضيلة وإيمان، لذلك لا تلتفت لما قد يُقال، أو تُصدق ما تقع عيناك عليه، إن هى إلا أزمات عابرة سرعان ما تنتهى.. قد تستغرق وقتًا أو تطول لبضعة شهور، ولكن عليك بالصبر والتحمل، فلسنا أول الأمم التى طالها الشقاء ولا آخر من تقسو عليهم الحياة!!

البكاء على اللبن المسكوب لن يُجدى نفعًا، ولذلك عليك بانتظار الفرج، إن هى إلا ستة أشهر، لعل الله يحدث أمرًا، فالصبر على البلاء أفضل من العافية عند الرخاء، والمبتلى الصابر أفضل من المعافى، والرضا بالغالب الموجود نعمة، والتطلع بقلق إلى الغائب المفقود نقمة.. ابتسم، فالابتسامة كنز لا يفنى!!

الثلاثاء: 10 يناير 2017

ما بين الحياة.. و«الموت»!

غريب أمر هذه الحياة الدنيا.. في كل يوم نفقد أحبة وأصدقاء.. ومن إحدى عجائبها أنها مضبوطة على تقويمين مختلفين، بل متناقضين.. توقيت يمنح هبة الحياة، وآخر لرجوع الأمانة إلى بارئها.

تلك اللحظة التي يولد فيها الإنسان ويُبصر النور، ليبدأ دورة الحياة بكل تجاربها وتفاعلاتها وصخبها، وتستمر - مؤقتًا - إلى حين.. ولحظة أخرى تتوقف فيها عقارب الساعة عن الدوران، إيذانًا بحياة أخرى لا منتهى لها.

ما بين الحياة والموت، لحظات من التأمل، في رحلة قصيرة تشبه ركوب سيارة تسير بسرعة فائقة، تسمح لقائدها بمشاهدة المناظر المختلفة من النافذة، لكنه لن يستطيع التوقف!

كثيرًا ما تمر على الإنسان لحظات يشعر فيها أن هذه الدنيا لا تساوي شيئًا، ربما بسبب موقف ما، أو حدث غيَّر مجرى تفكيرك وحياتك، فيجعلك تكتشفها على حقيقتها

التي كنت تتجاهلها، لتزداد يقينًا بأنها لا تستحق كل ما تفعله من أجلها!

إن كل إنسان ـ بعد وصوله إلى مراحل الوعي الأولى ـ يعرف ويدرك تلك الحقيقة، لأن الموت يقين لا شك فيه، ولا فرار منه.. هو ناموس الطبيعة الذي يتحقق، إن آجلاً أو عاجلاً، ولابد منه في آخر المطاف.

لعل أكثر ما يجزع الأهل والأصدقاء، أن الموت يأتي فجأة، من دون وداع.. ورغم هذا اليقين الراسخ بأن الموت هو نهاية رحلة الحياة »القصيرة«، إلا أن ما يجعله »مزعجًا«، هو تسلله خلسة ليختطف منَّا أعزاءنا واحدًا بعد الآخر، من دون إنذار مسبق.

يأتي الموت مقتحمًا، لينهي كل شيء، سواء أكنَّا مستعدين له، أم غافلين عنه، لأنه يظل قابعًا خلف الأبواب، وكما قيل: »استهينوا بالموت، فإن مرارته من خوفه«، لأنه ليس إلا »قنطرة تعبر بكم عن البؤس والضراء، إلى الجنان الواسعة والنعيم الدائمة.. فأيكم يكره أن ينتقل من سجن إلى قصر«!

لاشك أن الموت »يصفِّي المؤمنين من ذنوبهم، ليكون آخر ألم يصيبهم كفَّارة آخر وزر بقي عليهم«، ولذلك فإن »أوحش ما يكون هذا الخلق في ثلاثة مواطن: يوم يولد ويخرج من بطن أمه فيرى الدنيا، ويوم يموت فيعاين الآخرة وأهلها، ويوم يُبعث فيرى أحكامًا لم يرها في دار الدنيا«.

إن هذه الدنيا بكل جمالها وعظمتها سوف تنتهي يومًا.. الشمس والنجوم أيضًا سوف ينطفئ نورها.. والجبال الشاهقة بكل هيبتها وشموخها سوف تصبح دكًا.

ستفور البحار وتجف الأنهار، وهذه الغابات الجميلة الغنَّاء سوف تصبح خضرتها كأنها حمم البراكين.. عندها سيصبح الإنسان كالنملة التي غمرها الطوفان، يبحث عن مأمن ومأوى.. يريد النجاة والفرار، ولكنه لا يرى إلا جسرًا، يمنعه من الوصول إلى مبتغاه.

هذا الجسر يتسع تارة ويضيق تارة أخرى، نراه ملتويًا أو شديد الانزلاق.. ولذلك فإن أعمالنا وما نقدمه في حياتنا هي ما تجعل الجسر سويًا أو ملتويًا، أما جسر الظالمين والمنافقين والفاسدين فإنه يكون أدق من الشعرة، يزداد انزلاقًا لحظة بعد أخرى.

الثلاثاء: 20 سبتمبر 2016

الكاتب في سطور

محمود زاهر، صحفي وكاتب، من مواليد الدقهلية عام **1972**، متزوج وله ولد وبنتان.

- حاصل على ليسانس الصحافة والإعلام من جامعة الأزهر بالقاهرة عام **1993**.
- مؤلف كتاب "بركان الصمت"، منشور في العام **2016**.
- مؤلف كتاب "كلمات تحت الرماد"، منشور في العام **2015**.
- عضو نقابة الصحفيين.
- صحفي وكاتب في جريدة الوفد.
- محاضر في الإعلام الإلكتروني.
- صحفي في جريدة "السوق العربية المشتركة".
- صحفي في جريدة "الوطن" القطرية.

- مستشار صحفي في دولة الإمارات العربية المتحدة.
- صحفـي في جريدة الوطن "أخبار العرب" الإماراتية.
- كاتــب في عــدد مــن المجــلات والمطبوعــات الخليجيــة والعربيــة.
- محــرر لعدد من النشرات الرياضية والثقافية والاجتماعية.

الصفحة الرسمية للكاتب:

www.facebook.com/MahmoudZaher2020

البريد الإلكتروني:

zaher3333@gmail.com

الفهرس

مقدمة..7

مجتمعنا

ترويض الغضب!..................................11
الأسوأ لم يأت بعد!!............................14
تعويم الغلابة..................................17
مرار طافح.....................................20
ولا تلقوا بأنفسكم في «المتوسط»...............23
الضرب في «الشعب» حرام!!.....................26
لا مساس!!....................................29
«تعويم» المواطن المصري!......................32

عالمنا

قمة «الصمت الخجول»!...........................37
تطبيع.. من الدرجة السياحية!..................41
القاهرة والرياض.. أزمة غير «عابرة»!........44

«تخصيب» البيت الأبيض! 47
فأعرض عنهم.. وانتظر! 50
تركيا.. اللهم لا شماتة! 53
كوكب اليابان الشقيق!! 56
على خُطى «المعزول» 60

حياتنا

للمصري «ربٌ» يحميه!! 65
مواطنون.. لكن «شرفاء»! 68
عودة «المواطنين الشرفاء»! 71
عزيزي المغترب: «ادفع بالتي هي أحسن»! 74
تجربة الأعوام الستة 77
25 يناير.. كلاكيت سادس مرة 80
«المغيَّبون» في نعيم!! 83
«11/ 11».. ومعجزات «أهل الشر» 86
التسريبات.. ثقافة جيل 89

ديننا

تأميم الدين! 95
«نشرة» الجمعة 98
«طريق الهداية».. السينمائي 101
المُنَظِّرون.. وخفافيش الظلام 104

المصدر الرئيس للإرهاب!........................ 107
يد الله «مع الجماعة»!.......................... 110
عاصفة الفتنة................................. 113

روحانيات

الرسول الأعظم.. «مُحَمَّد»....................... 119
أمي.. الحب المقدس............................ 122
كاد المعلم أن يكون «...» !..................... 125
رمضان.. «شهر التسول والحرمان»!............... 128
يحسبهم الجاهل «فقراء من التسول».............. 131
قوتك في «فيلتك».. شكرًا رمضان!................ 134
«معرض» وصاحبه غايب!......................... 137
«التطبيع».. بروح رياضية!....................... 140
حنين إلى ابتسامة الطفولة....................... 143
الابتسامة.. كنز لا يفنى!!....................... 146
ما بين الحياة.. و«الموت»!....................... 149
الكاتب في سطور............................... 153

يسطرون
للطباعة والنشر والتوزيع